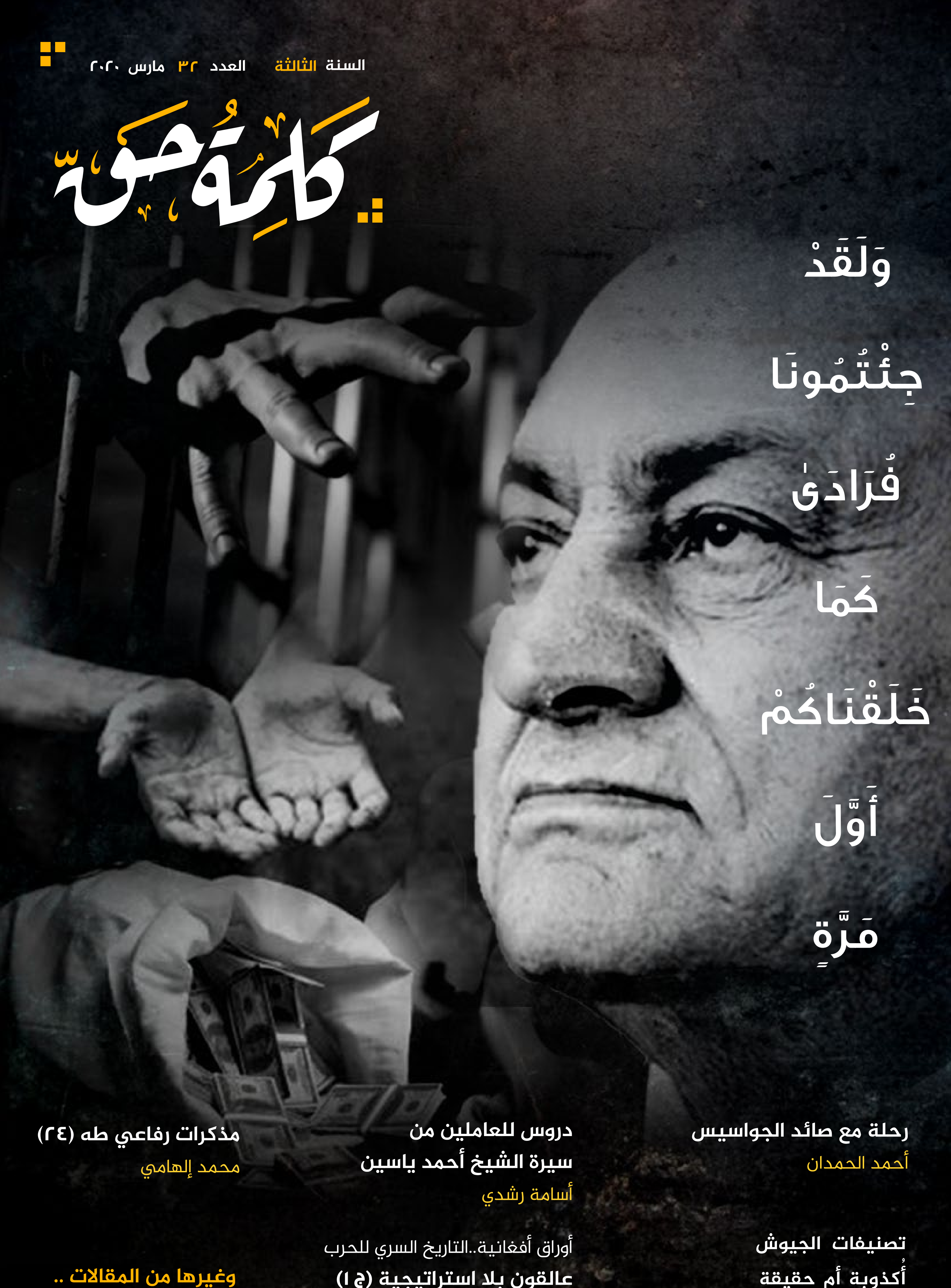
السنة الثالثة العدد ٣٢ مارس ٢٠٢٠

كَلِمَةُ حَقّ



وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ

رحلة مع صائد الجواسيس
أحمد الحمدان

دروس للعاملين من سيرة الشيخ أحمد ياسين
أسامة رشدي

مذكرات رفاعي طه (٢٤)
محمد إلهامي

تصنيفات الجيوش أُكذوبة أم حقيقة
محمود جمال

أوراق أفغانية..التاريخ السري للحرب
عالقون بلا استراتيجية (ج ١)
ترجمة : حامد عبدالعظيم

وغيرها من المقالات ..

klmtuhaq
دورية ثقافية معرفية
نخبة من الكتاب والمفكرين

كلمة حق

محتويات العدد ٣٢

مارس ٢٠٢٠

المشرف العام
محمد إلهامي

مدير التحرير
حامد عبدالعظيم


ترحب مجلة كلمة حق
باستقبال مقالات القراء ،
إذ تعمـــل هيئـــة التحـــريـــر علـــى فـــرزها
ونشر المتميز منها في كل عدد جديد ،
يُرجى إرسال المقالات على البريد التالي
Klmtuhaq@gmail.com


كلمة حق

klmtuhaq   

الافتتاحية ...

تركيا في إدلب ومبارك في قبره

محمد إلهامي

كان شهر فبراير ٢٠٢٠م حافلاً بالأحداث التي تجبر القلم على تناولها، فيه خاضت تركيا ولأول مرة المعركة العسكرية دعماً للثورة السورية ضد بشار الأسد، بل على الحقيقة ضد إيران وروسيا، وهو الأمر الذي يضع المخلصون أمامه أيديهم على قلوبهم رغباً ورهباً.

وفيه مات حسني مبارك وهو من أشهر طغاة القرن العشرين والذي حكم مصر لثلاثين سنة قاسية أجهز فيها على مكانة ومقام مصر إقليمياً ودولياً، فضلاً عن مطاردته المحمومة للإسلام وأهله، وتمكينه للعلمانية والطغيان.



ولم ينتهِ الشهر حتى فجعنا بوفاة الأستاذ الدكتور محمد عمارة، وهو من أشهر علماء مصر ورجال الفكر فيها، وقد قضى نصف قرن جندياً في معركة الإسلام ضد العلمانية -بفروعها: الماركسية والليبرالية- وضد الكنيسة الصليبية الطائفية في مصر، وبذل في هذا مجهوداً ضخماً لا أظن أن عاملاً للإسلام في باب الفكر لم يستفِد منه.

وفي آخر يوم من الشهر وقع الأمريكان مع طالبان اتفاقية تقضي بانسحاب القوات الأمريكية من أفغانستان بعد نحو عشرين عاماً من الاحتلال، بعد مقاومة طويلة صبورة وثبات عنيد مديد، وبعد محاولات مضنية أمريكية لأن تقضي على طالبان حرباً، ثم لتأخذ بالسلم ومناورات السياسة ما لم تأخذه بالحرب.

فكل موضوع من هذه الموضوعات جدير بأن يفرد له الكلام الكثير والمساحة الواسعة، ولعل ذلك يكون في مقام آخر، فأما الآن فلا بد من الإشارة بما يتناسب مع المجال المتاح.

(١)

في التاريخ قاعدة مضطردة تقول بأن الدول تولد بالحروب وتختفي بالحروب، فالحرب هي الصفحة الأولى في تاريخ كل دولة، وهي الصفحة الأخيرة في تاريخها، في تاريخ كل دولة حرب استقلال أو تحرير أو ثورة عنيفة تبدأ بها، وفي تاريخ كل دولة حرب السقوط والانهيار.

ولهذا سميت غزوة بدر بالفرقان، وهي المعركة التي تؤسس لوجود دولة الإسلام، وبها انتقل المسلمون من كونهم قلة لاجئة مشردة في ناحية من الأرض إلى قوة إقليمية قادرة على إيقاع الهزيمة العسكرية القوية بجيش قوي! ولهذا كانت لها نتائجها القوية على مستوى الحجاز والجزيرة العربية كلها في ذلك الوقت.

والذين يختلفون حول ما إن كانت هذه القاعدة لا زالت تعمل أم لا في عصرنا الحديث يضربون المثل بالاتحاد السوفيتي الذي سقط وانهار بدون حرب عسكرية كبرى، لكن أنصار هذه القاعدة يجادلون بأن الحرب الباردة التي كانت بمثابة حرب استنزاف طويلة وشاملة هي حرب انهيار الاتحاد السوفيتي، وأن الاستسلام الذي أقر به جورباتشوف هو استسلام مهزوم عاجز وليست مراجعات مُفَكِّرٍ شيوعي كما حاول أن تبدو! وبعضهم يذهب إلى أن القوة النووية التي امتلكها أطراف الحرب قد منعت من الانزلاق إلى المواجهة الكبرى في صورتها الصريحة، فقد كانت المغامرة بانتشاب قتال نووي مغامرة خطرة يدرك الجميع أن خطرها ماحق، ولهذا فضَّل الطرف المقهور (السوفييت) أن يعلن الاستسلام ويحتفظ ببعض الإرث بدلاً من انهياره كله، ولم يكن لدى الطرف الغالب المتفوق عسكرياً مانع من أن يعطي هذا الفتات الباقي!



” ليس المقصود الآن الخوض في الدرس الأكاديمي السياسي أو التاريخي، بل المقصود بيان أن التجربة السياسية لا تنجح إلا بعد أن تختبر عسكرياً، ولا تنهار إلا بعد هزيمتها عسكرياً، وهذا التدخل التركي في سوريا هو المواجهة العسكرية الأولى والاختبار العسكري الأول لتجربة العدالة والتنمية، وهي التجربة -التي مهما كان رأيك فيها- فإنها قد تعلقت بها أبصار المسلمين المتشوقين إلى دولة قوية قائدة، كما تعلقت بها أبصار أعداء الإسلام المتخوفين من بزوغ جديد للقوة الإسلامية. “

لا أتذكر أني قرأت كتاباً صادراً عن مركز بحثي غربي يتناول تركيا -من قريب أو من بعيد- إلا وكان يشير متخوفاً إلى إمكانية أن تعود تركيا من جديد كقائد للعالم الإسلامي، أي: كخطر على الغرب والمسيحية!.. هكذا يرون المشهد. كما لا أتذكر أن قضية قوم مسلمين مقهورين في بقعة ما من الأرض لم يتطلع أهلها إلى الموقف التركي مهما كانت تركيا بعيدة عنهم أو عاجزة عن تغيير شيء من أحوالهم، من تركستان إلى بورما إلى الهند إلى إفريقيا إلى الأقليات المسلمة في الغرب، فضلاً عن العالم العربي، تركيا حاضرة في أذهان المسلمين كدولة تستطيع -على الأقل- أن تُنادي بمظلوميتهم أو تمد يد المساعدة أو تكون ملجأ للفارين منها. والذي يتجول الآن في إسطنبول يرى أنها بحق عاصمة المسلمين.

هذه إذن هي المواجهة العسكرية الأولى لتركيا الجديدة، وليس معروفاً إلى أي شيء تنتهي، فكما يمكن أن تنتهي سريعاً إلى اتفاق ما، كما يمكن أن تنزلق إلى مواجهة كبرى، نسأل الله أن يهيئ لأمة المسلمين رشداً.. لكن المهم في كل الأحوال أن تخرج تركيا من هذه المعركة منتصرة، أن تخرج منها وقد تضاعفت قوتها وأدهشت أطراف النزاع بقدراتها العسكرية فيصير لها في لحظة الاتفاق موضع أحسن من الذي كانت فيه قبلها.

●● إن تجرؤ الروس على قصف الجنود الأتراك يعني أن الأطراف لم تستطع بالمفاوضات والمناورات الدبلوماسية الوصول إلى حل، وبات على الأطراف أن تتكلم بالنيران لحلحلة الموقف وتحسين مواقعها التفاوضية، وإلى لحظة كتابة هذه السطور يبدو الموقف التركي قوياً ومدهشاً، حتى إن مسؤولاً غربياً بدا منزعجاً من الرد التركي في ليلة واحدة إلى الحد الذي تخوف فيه أن يعلن بشار استسلامه!! (والغربي معروف، فهو يدافع عن حقوق الإنسان ما دام الطاغية متمكناً من الذبح، فإذا تزلزل موقفه حدَّثك عن أهمية الطاغية في محاربة الإرهاب وحماية إسرائيل وتحقيق المصالح الغربية!!).

وهذه الثورة السورية المباركة، ثورة الشام العظيمة، الثورة اليتيمة بحق، إن كان قد نالها نفعٌ ما فلم يَنَلْها إلا من تركيا، ولستُ مهتماً الآن بالدفاع عن الموقف التركي مع إيماني بأن الموقف التركي من الثورة الشامية ليس مجرد موقف مصلحي نفعي برجماتي كما هو حال السياسة المعاصرة العلمانية وإنما هو موقف يحضر فيه الإسلام والقيم كذلك، ولا يخلو بطبيعة الحال من المصالح؛ والمصالح في الحالة التركية الآن هي بمعنى: درء المفاسد لا بمعنى جلب المنافع، والمفاسد ليس أولها عبء اللاجئين الذين يقبل العالم كله بذبحهم في بلدهم ولكن تثور إنسانيتهم لموقف عنصري يصيبهم في تركيا أو بموت أحدهم على الشواطئ، ولا آخرها تهديد الدولة الكردية والوجود الروسي في الخاصرة.



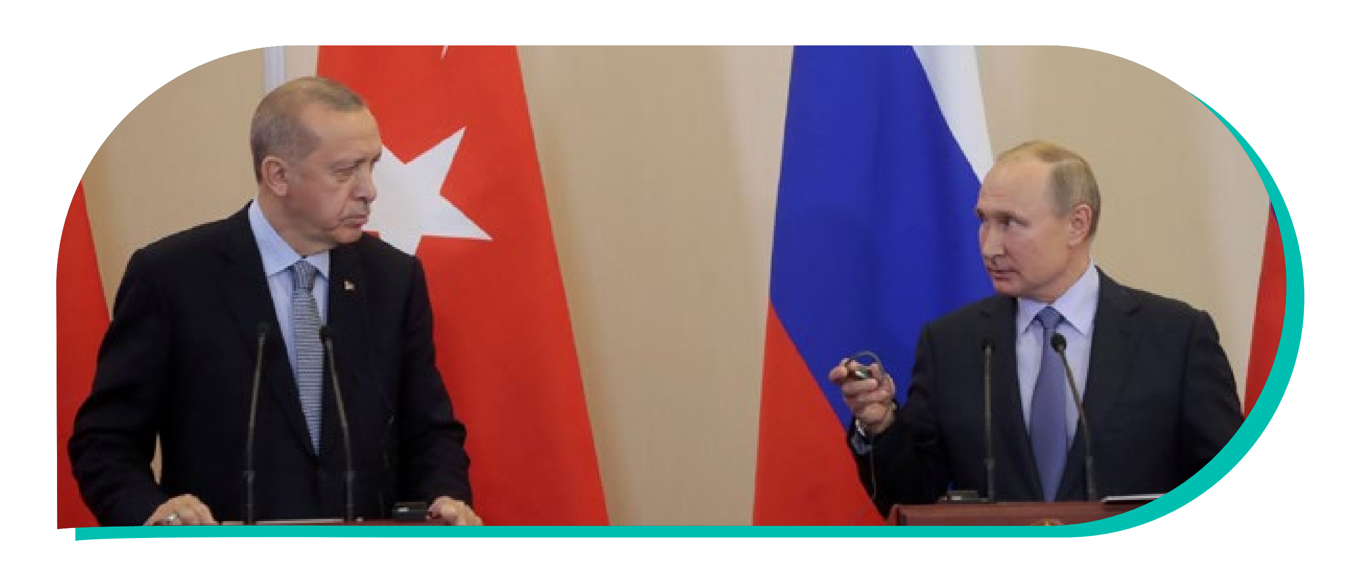
ولقد تردد الأتراك كثيراً وطويلاً قبل التدخل العسكري في سوريا، أو بلفظ أدق: لم تسمح أمريكا بذلك للأتراك وحدهم، بينما سمحت بذلك عملياً للإيرانيين وسائر أتباعهم في لبنان والعراق وباكستان وأفغانستان وغيرها- ثم للروس (بل إن ثمة تسريبات نشرت مؤخراً تتحدث عن أن الأمريكان هم من طلبوا من الروس التدخل) ولآخرين كالفرنسيين والألمان كان وجودهم مقتصراً على أعمال التدريب والدعم والتأهيل. تردد الأتراك طويلاً حتى صاروا أكبر الخاسرين وأقل المنتفعين وآخر المتدخلين في الملف السوري. ولا ينفي هذا أن قسماً عظيماً داخل السياسة التركية كان يتخوف من التدخل لئلا تكون هذه ورطته الكبيرة وبوابة استنزافه الضخم. حتى وصل الحال إلى حدٍّ عبَّر عنه الرئيس التركي بقوله "لو لم نوجد اليوم في سوريا، فغدا سنضطر للحرب داخل تركيا نفسها".

في كتاب "المائة عام القادمة" الصادر **٢٠٠٩م** يتحدث جورج فريدمان، وهو من أكبر الخبراء الأمريكيين، عن أن منطقة الشرق الأوسط ستدخل في فوضى، وعن أن روسيا ستحاول أن تتمدد في حالة دفاعية هجومية في ثلاث مساحات: شرق أوروبا ووسط آسيا والقوقاز، وأن تمددها في القوقاز سيؤدي إلى اشتباك مع الأتراك، وأن الأتراك سيتواجهون مع الروس (في عقد الـ **٢٠٢٠م**) وسيتلقون الدعم الغربي الكامل لهزيمة الروس وإنهائهم كقوة دولية، ثم ستتحول تركيا إلى دولة عظمى، تمثل -مع المكسيك وبولندا واليابان- التحدي القادم أمام الولايات المتحدة، مما سيؤدي لنشوب حرب عالمية (**٢٠٥٠م**) تنتصر فيها أمريكا وتحطم فيها هذه القوى العظمى، فالقرن الحادي والعشرين -كما يقول- سيكون قرناً جديداً من التفوق الأمريكي. فيما يخص تركيا، فإنها ستكون قائدة العالم الإسلامي، ستتمدد في القوقاز والبلقان بل ستسيطر على قناة السويس، وستعيد خطابها العثماني في كل هذه المراحل، وحين تبدأ مواجهة أمريكا لها فإن أمريكا ستعيد تجديد خطاب القومية العربية مرة أخرى.

ومما تعلمته من أستاذ متخصص في السياسة الأمريكية هي قوله: "الأمريكان حين يريدون فرض حلٍّ ما فإنهم لا يحاولون إغراء الآخرين به، بل يجعلون الآخرين مضطرين إلى هذا الحل". وحين ذكر لي هذا الكلام قبل سنوات تذكرت مباشرة قضية البوسنة، حيث اضطر علي عزت بيجوفيتش إلى ما لم يكن يرضى به أبداً وما ذلك إلا لأنه وجد نفسه أمام حرب إبادة للمسلمين، فإما الإبادة وإما الحل المطروح فاختار الحل الأمريكي المطروح كأهون الشررين.

ثم ترددت كلمته في أذني على مدار السنوات الماضية ونحن نتابع تهجير السوريين من مناطقهم برعاية الأمم المتحدة.. لقد كان هذا أشبه بالجنون إذا عُرِض كحلٍّ في أي نزاع دولي. ذلك أن الحل الدولي المعهود لأي نظام يرتكب إبادة جماعية هي منع تصدير السلاح وفرض حظر جوي وتوجيه ضربات عسكرية إليه، أما أن تأتي الأمم المتحدة لتنظم عملية التهجير وإفراغ المدن ليستولي عليها النظام لقمة سائغة فهذا إبداع جديد!!.. لكن الشاهد هنا: كيف تحول

التهجير من حل غير معقول إلى حل مطلوب مرغوب؟ لقد كان ذلك بحرب الإبادة التي صبت على رؤوس الجميع حتى صار الخروج من البلاد في الباصات الخضراء أمنية.



لئن صدقت توقعات أو لنقل: تخطيط جورج فريدمان حول النية الأمريكية في إشعال حرب بين روسيا وتركيا فقد كانت سياسة السنوات الماضية دافعة لكليهما حتى حافة الحرب، ولم يبق إلا اشتعال الشرارة، والواقع أن التصريحات الغربية والأمريكية هذه الأيام تجامل تركيا -الحليف وعضو الناتو- بما لم يبوحوا بشيء منه يوم أزمة إسقاط الطائرة الروسية، حتى لكأن تركيا ليست حليفاً ولا عضواً في الناتو!

ولن يكون هذا بعيداً عن المعهود من السياسة الأمريكية في إدارة الحروب، فالعادة الأمريكية هي أن تستنزف الجميع ثم تدخل الحرب في اللحظة الأخيرة لترث المشهد ومكاسبه بعد القضاء على الأطراف المرهقة، هكذا سيرتهم في الحرب العالمية الأولى والثانية، ولما خالفوا هذه السيرة ودخلوا بأنفسهم تورطوا كما في فيتنام وأفغانستان والعراق. وهذه الحرب السورية استنزف فيها الأمريكان السوريين والإيرانيين حتى فقدوا فيها صفوة نخبتهم وقواتهم وعدداً ضخماً من شباب الشيعة المقاتلين المدربين، ومنذ بدأ التدخل الروسي فقد بدأ استنزاف الروس أيضاً، ومن ثَمَّ فإن الجولة القادمة هي لاستنزاف الروس والأتراك معاً.

لهذا الوضع المعقد كله، يقف المخلصون لهذه الأمة وهم يضعون أيديهم قلقاً من التدخل التركي في روسيا، يرجونه لنصرة المظلومين ولكسر الظالمين ولتقوية تركيا في الساحة العالمية، ويتخوفون من أن تكون هذه هي الورطة والفخ الذي يفضي إلى استنزاف قوتها وكسر نهضتها.. ولسان حالهم يقول {وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}.

فمهما يكون الموقف الجزئي المخصوص من تجربة تركيا أو من سياسة أردوغان، فهي اليوم في موقف إن انتصروا فيه كان نصرهم عائداً على الأمة كلها، وإن كانت الأخرى لا قدر الله، عادت هذه الخسارة على الأمة كلها، وأول الأمة هنا: الثورة اليتيمة المقهورة في الشام، ثم ستنتكس أكثر -إن لم يكن: كل- القضايا الإسلامية في المشرق والمغرب. إنه يوم كيوم انقلاب 15 يوليو 2016، يوم تقف فيه الأمة معقلة القلوب والأبصار بربها ترجو ألا يصلح كيد المفسدين.

(٢)

حسني مبارك..

لو مات حسني مبارك وهو في السلطة لتوقفت البلد من أجله، ولكانت جنازته جنازة مشهودة يؤمها الرؤساء من الشرق والغرب، ولانتفضت كل الصحافة والقنوات ووسائل الإعلام في التسبيح والتمجيد والتقديس لشخصه، ولنعاه المعارضون بأحر العبارات، وأما من لم تسمح نفسه بالمشاركة في هذه الحفلة فكان سيجلس في بيته حتى تنقضي العاصفة، يخشى على نفسه إذا تكلم ضد التيار.

فأما لو مات حسني مبارك بُعيْد ثورة يناير وهي في زخمها القوي، فإن مجلسه العسكري نفسه لم يكن ليجرؤ على إقامة جنازة عسكرية له، ولم يكن ليجرؤ أحد من الساسة في الإقليم أو العالم أن يتحدث عن فجيعته بفقد مبارك ولا أن يفكر في المخاطرة بحضور جنازته التي ستكون مقتضبة قصيرة عاجلة، ولربما أجراها مجلسه العسكري في إجراءات أمنية مشددة لئلا تكون

مدخلاً لاشتباك أو اقتتال تنفلت به الأمور مرة أخرى، وعندئذ، كان الذي سيمدح مبارك هو الذي سيتكلم خجلاً متحفظاً وملء كلامه العبارات الاستدراكية التي تنفي عنه تأييده، وأما الذين عُرفوا بتأييد مبارك فأغلبهم لم يكن ليتكلم أصلاً، فإن تكلم فسيحكي عن فساده وكيف استرحنا منه، تماماً كما فعل أكثرهم بعد سقوطه.



●● وأما إذا مات حسني مبارك في زمن عبد الفتاح السيسي.. فالأمر كما رأينا! جنازة تثبت أن مبارك كان رجلاً من رجال الدولة القائمة، ولكنه "كان"، كان ولم يعد، ولهذا فجنازة عسكرية نعم ولكن عابرة، وصحافة وإعلام ينافق ويترحم ولكن سريعاً، واهتمام سياسي لا يريد من سيرة مبارك إلا ترسيخ حكم السيسي، يأخذ من القديم بقدر ما يشرعن للجديد، ويترك منه بقدر ما يفارقه.

وهذا هو تأثير الواقع في كتابة التاريخ..

والعكس بالعكس أيضاً، وكنت قد كتبتُ مثل هذا المعنى عند وفاة الشيخ عمر عبدالرحمن في السجون الأمريكية، وقلت: لو أنه مات في زمن مبارك لم يكن أحد ليأبه له، ولو أنه مات في زمن مرسي لكان حفل تأبينه في استاد القاهرة يتكلم فيه كل فصيح، ولكن حيث إنه مات في زمن السيسي فقد كانت جنازته العابرة في مصر ولكن حفل تأبينه في إسطنبول، حيث تلجأ المعارضة المصرية، فتكلم عنه مادحاً حتى من لم يكن يعرفه.

ومثل هذا يقال في الرئيس الشهيد محمد مرسي رحمه الله..

والحمد لله الذي جعل الحساب خاصاً به، وهو يعلم السر وأخفى، ولا تنفع معه قوة ولا عدة ولا سلطة ولا دولة.. يقف الجميع أمامه عارياً خالياً من كل قوة، يقضي فيهم وقد زال عنهم كل سلطانهم، يتلاعن يومها الظالمون وأتباعهم ويحمل بعضهم بعضاً المسؤولية، ولا ينفعهم هذا أمام ربهم، (يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ . إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) (يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ).

لكن الأمر الذي نستفيده هنا أن الطاغية لا يفسد دنيا الناس فحسب، بل هو يفسد دينهم وأذواقهم وفطرتهم وقيمهم وأفكارهم معها..

●● هذا الطاغية الذي قضى ثلاثين سنة يحكم فيها البلاد بقانون الطوارئ، بالعنف والقهر والظلم والفساد، ثلاثين سنة كانت كافية لأي مخلص وطني أن ينهض فيها بالبلد لو أنه أراد، ولكنه لم يفعل، بل زاد الفقر وزادت البطالة وزاد المرض وزاد الموت.. وخذ من الموت ما شئت: حرقاً أو غرقاً أو هدماً أو على الطريق أو بالتعذيب في مقرات أمن الدولة وأقسام الشرطة!

وكيف يمكن أن يصف المرء ثلاثين سنة في سطور؟!.. وأين يجد المرء على دليلاً على فساد حاكم أوضح من ثورة شعبه عليه؟! فإن الشعوب طويلة الصبر واسعة الصدر لا تثور وتضحي بنفسها إلا إن بلغ منها اليأس كل مبلغ!

كان عهد مبارك أقل سوءاً من عهد السيسي، ربما، يمكن أن نتجادل في هذه العبارة، لكن لا ننسى أن عهد مبارك لم تكن فيه فضائيات ولا انترنت ولا هواتف محمولة تستطيع تصوير الفساد وإرساله إلى وسائل الإعلام، المؤكد أن السيسي أكثر افتضاحاً منه، لطبيعة التكنولوجيا في عصره، كما أن السيسي بغير شك أكثر سوءاً وبلادة وضحالة في الكلام والمنطق، كان مبارك يستطيع أن يقرأ خطاباته بشكل سليم ويعبر عن أفكاره -مهما كانت ضحلة- بشكل

مفهوم، بخلاف هذا الذي جمع عيي اللسان مع ضحالة العقل ثم يظن نفسه طبيب الفلاسفة وأنه قد حاز فهم سليمان!



مهما كان أقل أو أسوأ فإن النظام واحد، نظام عسكري علماني حديدي دموي فاجر، لا يبالي بطحن العباد وسحق البلاد، يمص ثرواتهم في القصور والزخارف تاركا نصفهم تحت خط الفقر ونصفهم الآخر يحذر أن يكون تحته! ثم هو نظام يطارد الدين وأهله، أحسن العلماء فيه من يستطيع أن يسكت أو يتكلم بالكلمة المحسوبة، فأما من جهر بالنكير فهذا في القبور أو السجون أو المنافي!.. والسكوت في حق العلماء في ظل هذه النظم قد يكون أعزُّ ما يُطلب منهم، ولا يقدر عليه إلا فحولتهم ورجالهم، وكفى بالصبر على السكوت تحت بريق الذهب وظل السيف- مقاماً عالياً.

إن الأمة اليوم في محنة.. إذ كيف يعرف الناس الحق من الباطل إن كان مقام السكوت للعالم مقام رفيع؟!

وهذا عبد الفتاح السيسي، الذي بلغت جرائمه كل مبلغ.. بل هذا بشار الأسد الذي ضرب الأرقام القياسية في طغيان الحكام العرب في هذا العصر.. هؤلاء لو ماتوا وهم في سلطانهم لسبحت بحمدهم الألسنة، وذرفت لهم العيون، وتوقفت لهم الدنيا.. وما في ذلك من عجب، لقد أفسدوا ضمن ما

أفسدوا أفكار الناس وقيمهم ودينهم وأذواقهم، فصاروا لا يحسنون صنعاً، وبدلاً من أن يرجموا الطاغية ترحموا عليه! وبدلاً من أن يكون هلاك الطاغية خبراً سعيداً فإذا به يكون خبراً حزيناً!!

●● إن الذي يملك القول من موقعه في المنفى أو من حسابه المجهول على مواقع التواصل الاجتماعي يقوم بمهمة عظمى، مهمة إصلاح ما أفسده الطاغية من وعي الناس وعقولهم، وما أحسب لمثل هذا أنه يجوز له السكوت أو التكاسل.. لا بد أن يبقى الحق حقاً والباطل باطلاً، وإلا اندثر الحق كله فلا يُعرف، بل قد يصير الحق باطلاً والباطل حقاً، وهذه هي عودة الإسلام غريباً كما كان.. وهؤلاء الغرباء هم الذين يحملون عبء إصلاح هذا الفساد وإعادة الإسلام من غربته لتكون له الكلمة العليا والسيادة العليا والمرجعية العليا.

ما أضيع الأمة وأبأس مصيرها إن كان الطاغية الذي يفتك بها في حياتها ويشبعها ذلاً وقهراً ونكبات، هو هو نفسه الذي تبكيه عند موته وتترحم عليه وتحزن لأجله.. فيا أصحاب الأقلام والمنابر والقنوات والمواقع، ويا سائر من يملك أن يتكلم: لا تسكت.. لا تسكت.. لا تسكت.. فلعل كلمة منك تنقذ جيلاً أو أجيالاً، وإن كلمة الحق لها صلصلة تزيل ركام الباطل!

رحم الله كل مظلوم ومقهور ومقتول ومغدور ومأسور بيد كل طاغية، ولا رحم الله في أي طاغية مغرز إبرة منه، وشفى صدور قوم مؤمنين.

***

وأرجو أن يسامحني القارئ الكريم، فقد طال هذا المقال مني رغماً عني، حتى صار متعذراً أن أطيله أكثر من هذا في الحديث عن وفاة د. محمد عمارة، وقد والله تركت وفاته في نفسي لوعة أسيفة، ولا عن الاتفاق الأخير بين أمريكا وطالبان، ولعل الله أن ييسر لكل منهما مقاماً آخر يوفيهما ما يستحقان إن شاء الله.

دروس للعاملين من سيرة

الشيـخ أحمـد ياسيـن

أسامة الرشيدي (كاتب سوري)



بسم الله

تعيش الأمةُ المسلمةُ اليوم لحظةً فارقةً في تاريخها، فبعد أكثر من قرن من الزمان تحت قيود الاستعمار ونير الاستبداد، تحاول الأمة اليوم بثوراتها كسر القيود، متطلعة إلى الاستقلال والحرية. وإني أحسب أن من أهم الأسباب التراكمية لثورات الشعوب المسلمة في هذا العقد هي جهود المصلحين والمجاهدين من أبناء الأمة خلال القرن المنصرم، تلك الجهود التي سعت إلى حفظ دين الناس، والحفاظ على الهوية الإسلامية في حس المسلمين ووجدانهم، وعملت على تشكيل تيار إسلامي واسع عريض من أبناء الأمة، يحملون الوعي وينشرونه بين الناس.

هذا التيار الذي أحيا قضية الجهاد من أجل الاستقلال ومن أجل إقامة الدين في واقع الحياة، فقاوم الاستعمار في صورته العسكرية، ورفع لواء مقاومة المحتل الصهيوني المغتصب لقبلة المسلمين الأولى، وبذل وقدم في سبيل ذلك الدماء والأرواح. وإنه لحريٌ وجدير بهذا التيار اليوم أن يكون على قدر المسؤولية، وأن يضطلع بالمهام التي يقتضيها الواقع الذي آلت إليه ثورات الشعوب المسلمة، خاصة بعد أن أخفقت الجماعات الإسلامية التقليدية في قيادة حراك الأمة، بل وكانت في بعض البلدان سببا في تراجع وانحسار هذا الحراك أمام الثورة المضادة التي يحيكها الاستعمار وأدواته من الحكومات الوظيفية والتيارات العلمانية. إن مما تحتاجه الحركة الإسلامية في هذا الوقت هو دراسة تاريخ النماذج الناجحة من أبناء الأمة الذين تمكنوا من تغيير موازين الصراع بين الأمة وأعدائها، واستطاعوا صناعة الفارق في المعادلة لصالح الأمة في اللحظات الفارقة في تاريخها، للاستفادة من سير هؤلاء الرجال في صناعة التغيير الذي نسعى إليه.

وفي هذا المقال محاولة يسيرة لإلقاء الضوء على بعض المشاهد في حياة رجل عظيم من رجالات المسلمين في هذا الزمان، و استخراج بعض الدروس التي ينبغي أن نستفيد منها في واقع الحركة الإسلامية اليوم، وسأكتفي في هذا المقام بذكر (٧) صور من حياته فقط، مع درس يسير من كل صورة، وإلا فلو ذهبت أستقصي الدروس والعبر من حياته الطويلة العامرة بالعمل والدعوة، لاحتاج الأمر إلى تسويد المجلدات في سبيل ذلك.

الشيخ القائد الشهيد أحمد ياسين: قعيد ذو همة أحيا الله به أمة (لا يعرف اليأس طريقاً إلى قلبي، وأملي أن يرضى الله عني، ورضا الله بطاعته، وطاعته هي الجهاد).

١ الشيخ ياسين في مهنة التدريس:

بعد انتهائه من الثانوية العامة، عمل الشيخ في مهنة التدريس، ولكنها لم تكن بالنسبة له مجرد وظيفة يكسب من ورائها مبلغاً شهرياً من المال يقيم به

نفسه ويعين أسرته، إنما كانت رسالة تعليم وتربية للنشء المسلم على حمل هم القضية والالتزام بالإسلام، فعمل على ربط الطلاب بالمسجد، وأنشأ فيه مكتبة، وجعل الطلاب يشرفون عليها لزرع قيمة تحمل المسؤولية، وتعويدهم على أمور القيادة والإدارة، وكان يقيم للطلاب دروساً وحلقات في المسجد بعد انتهاء وقت الدراسة، يغرس فيهم قيم الإسلام، ويربيهم على الارتباط بالله عز وجل، لدرجة أن الشيوعيين في ذلك الوقت اشتكوه إلى مدير المدرسة بعد أن رأوا أولادهم لا يتركون صلاة الجماعة في المسجد، ويحافظون على صيام الاثنين والخميس!



وهكذا يجب أن يكون حال المسلم صاحب القضية، يحمل همها أينما حل وارتحل، يتحرك بها ولها، وحيثما نزل واستقر نفع الله به، وجعله سبباً في يقظة الناس من بعد غفلة، وإحياء من بعد موت، متمثلاً قول الله عز وجل: (وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنتُ).

"فالشاب المسلم في الجامعة، يتوجب عليه أكثر من مجرد الاهتمام بالدراسة والتفوق، فهو ليس شاباً عادياً، بل صاحب قضية يسعى لنشرها وحشد الناس عليها لتبنيها ونصرتها، لذلك عليه أن يحرص على أن يكون مؤثراً في محيطه، فينصح ويذكر ويوجه غيره من الشباب اللاهي الغافل عن سبب وجوده في الحياة، فليأخذ بأيديهم ويدلهم على الطريق، وأدوات ذلك ووسائله كثيرة ومتنوعة."

فليأخذ كلٌ بما يناسب واقعه ومحيطه وحال الشباب من حوله، وليستعن بالله ولا يعجز، وهذا ينطبق على عموم من عرف الطريق وحمل الهم، لا يصح أن يكون بطالاً بل عمل وحركة للدين وبالدين، في المسجد ومحل العمل، في السكن وبين الجيران والأهل والأقارب، داعياً مذكراً ومصلحاً موجهاً، ناشراً للوعي ومزيلاً لغشاوة الغفلة عن قلوب الناس.

كذلك فإن قضية الاهتمام بالنشء الجديد والجيل الصاعد، من أهم ما ينبغي أن يركز عليه العاملون لدين الله عز وجل، فهؤلاء هم رجال المستقبل، وغرس الإسلام لمعركة الغد، وإننا لنأمل أن نكون نحن جيل التمهيد، وأن يكون الجيل القادم هو طليعة جيل التمكين، وإن الراية التي يحملها العاملون للإسلام اليوم، في حاجة إلى إعداد قلوب مؤمنة، وعقول نيرة، وسواعد مفتولة، لتحمل الراية وتبقيها عالية خفاقة يفيء إليها الناس، وهكذا تنتقل راية الحق من جيل إلى جيل، حتى يأتي وعد الله.

" ومن الجدير بالاهتمام كذلك، إدراك أن هذا الجيل الذي نحن بصدد الحديث عنه، يواجه - هو ومربوه - تحديات لم تعرفها الأجيال الماضية من أبناء الحركة الإسلامية، ونظرة واحدة اليوم على مواقع التواصل يدرك من خلالها المرء إلى أي مستوى وصل حال الناس من الجهل والبُعد عن دين الله عز وجل، فقد صار الناس يجادلون في العقيدة، ويردون أصول الدين ويستنكرونها، كما انتشرت فتنة الإلحاد، وكثر إلقاء الشبهات على الجيل الصاعد بشكل لم يكن من قبل. "

وهذه التحديات تزيد المهمة صعوبة على الواقفين على ثغر التربية والإعداد، لذلك وجب على الحركة الإسلامية أن تولي اهتماماً بالغاً بهذا الثغر العظيم إنفاقاً وبذلاً وبحثاً، وتوقف عليه أهله والأجدر به، ولنعلم أن التفريط في ذلك تفريط في القضية والرسالة، وخيانة للدين والأمة.

٢ الشيخ ياسين، العابد التقي:

يقول الصحفي ياسر البنا عن لقائه بالشيخ ياسين من أجل إجراء حوار صحفي معه: "كان أكثر ما يشد الانتباه إلى الشيخ تدينه الشديد وتقواه، حيث كان يقدم الصلاة والعبادة على كل شيء، ولا يقبل أن يشغله عن عبادته أي لقاء صحفي مهما كان".



وقال الشيخ ياسين عن نفسه في سياق حديثه عن فترة سجنه: "رغم مرارة السجن على كافة الأصعدة إلا أن الإنسان المؤمن يجد في السجن متعة كبيرة، فهو يخلو مع الله سبحانه وتعالى، يناجيه ويتعبده، إن أعلى معنويات حياتي كانت داخل السجن، حيث أكملت حفظ القرآن الكريم، واطلعت على الكثير من كتب التفسير والحديث والفقه وأصوله، وكنت أقرأ أربعة أجزاء يومياً في صلاة السنن".

قلت: لعمري هذا حال المؤمن الصادق الذي فهم عن الله ورسوله فعلم كيف يستجلب توفيق الله وعونه. إن الناظر إلى حال الكثير من الكوادر العاملة للإسلام اليوم يلحظ تقصيراً في جانب العبادة، من تأخير للصلاة وانشغال عنها، أو اقتصار على الفرائض بحجة كثرة المشاغل وازدحام جداول الأعمال!

وأي عمل أولى من صلاتك وقيامك وقرآنك؟! هذا هو زادك ووقودك لاستكمال السير على الطريق، تلك العلاقة المقدسة الخاصة التي تبنيها بينك وبين ربك

هي مجلبة حب الله وتوفيقه ورضاه، هي أكبر سبب لضبط البوصلة واستجلاب المعيّة الإلهية في سيرك وعملك وحركتك، وإلا فالضياع والهلكة، نسأل الله عز وجل الهمة والتوفيق، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٣ الشيخ ياسين والعمل الحركي:

في عام **١٩٦٨م** وعمره حينئذ **٣٢** سنة فقط، أصبح الشيخ ياسين على رأس حركة الإخوان المسلمين في قطاع غزة، فكان من مظاهر عبقريته في القيادة والإدارة، أنه نحا نحو التجديد وضخ دماء شابة في الحركة، فاستبدل بمجالس النقباء قيادات شابة، ذات دافعية كبيرة وحماس شديد للعمل الإسلامي، أما القدامى فوجههم للجان الزكاة وغيرها مما يناسب سنهم وخبرتهم وعلاقاتهم الاجتماعية.

ويا ليت قادة العمل الإسلامي المتصدرين لقيادة الحركات الإسلامية اليوم ينحون هذا النحو، فاللحظة الفارقة التي تمر بها الأمة اليوم مختلفة عما كان عليه الواقع في العقود الأخيرة، وإن هذه الانتفاضة التي شملت الأمة في ثورات الربيع العربي في أمس الحاجة إلى قيادات شابة واعية، تستثمر هذا الحراك، وتنتشر حركة ودعوة وإصلاحاً في بحر الأمة الواسع، بأدوات وأساليب جديدة تناسب الواقع الجديد، وتواكب التغيرات الاجتماعية والثقافية التي تحدث اليوم.

” إن جيل الشباب الواعي المتحمس للعمل الإسلامي اليوم خليق وجدير أن توكل إليه مهام القيادة، وواجب على القيادات التاريخية أن تدرك اللحظة ومتطلباتها، وأن تفسح المجال للدماء الجديدة لتتدفق في عروق الحركة الإسلامية لتعيد نهضتها من كبوتها التي ألمّت بها بعد موجة الثورات المضادة، وفشل القيادات القديمة في التعامل مع الأحداث بما تقتضيه الأحوال والظروف، وليبقَ دور هذه القيادات حاضراً في النصح والمشورة للاستفادة من خبراتهم وعلاقاتهم، وهذا لعمري السياق الطبيعي لحركة الأمم التي تسعى للبقاء، أن يتسلم اللواء جيل من بعد جيل، لتبقى الراية مرفوعة حتى يكتب الله النصر للأمة بعد طول جهاد ومقاومة. “

٤ وفي الحركة كذلك:

في عام **١٩٨٧م** اندلعت الانتفاضة الفلسطينية التي اشتهرت بانتفاضة المساجد، يقول عنها الشيخ: "الأحداث دائماً تحتاج من يقودها ويستثمرها، فالانتفاضة كانت حدثاً عادياً وانطلقت من جباليا، لكن ولأنه ليس ثمة تنظيم في جباليا فسرعان ما هدأت الأمور فنقلناها إلى الجامعة، ولما أغلقت إسرائيل الجامعة نقلناها إلى الشوارع، وهكذا نقلنا الحدث العادي إلى انتفاضة كبيرة بتنظيمنا).



قلت: وهكذا ينبغي أن تعمل الحركة الإسلامية على صناعة حراك الأمة وإدارته بطريقة تحافظ على زخمه، وتبقي الطواغيت في حالة استنفار واضطراب وقلق على الدوام. إن هذا الاستمرار هو الذي يستنزف العدو، ويجعله غير قادر على مواجهته بسياسات مدروسة تثمر نتائج إيجابية له، تؤدي إلى القضاء على الحراك.

ولكن للأسف الشديد، إن سياسات الكثير من قيادات الجماعات الإسلامية التقليدية تعمل على عكس ذلك، فكم رأينا من قرارات لهم أسهمت في القضاء على الحراك في بلدان كثيرة، وساعدت على استتباب الحكم للحكومات الوظيفية، بحجة الحفاظ على الدولة، ومخافة حدوث فوضى في البلاد، ولقد رأينا كيف قُضِيَ على الحراك العملي الفعال في مصر من قبل القيادات التاريخية، بحجة الخوف على سُمعة الجماعة كي لا تصنف دولياً بأنها جماعة إرهابية.

وأصبح صنم الجماعة والحفاظ عليها -ولو عاجزة أو شبه ميتة- مقدم على مصلحة الأمة، التي تقتضي ضرورة العمل على كل وسيلة تسهم في إحيائها ونهضتها من أجل المقاومة المستمرة، حتى إسقاط الحكومات الوظيفية العميلة وتحقيق الحرية والاستقلال.

٥ القدرات التنظيمية للشيخ:

برع الشيخ أحمد ياسين في تنظيم التكتلات الإسلامية، وإنشاء المؤسسات التربوية والإرشادية، بالإضافة إلى تجهيز وإعداد المجموعات الأمنية والعسكرية لمقاومة الاحتلال الصهيوني، ولقد وصف تنظيم الحركة بقوله: "كان عملنا جماعياً شورياً فلم يتأثر بغيابي، بل ظل التنظيم في حالة الإعداد كما هو، وكانت اعترافاتي واعترافات من سبقني إلى الاعتقال منسجمة وتدل على أننا مجموعة صغيرة ولا زلنا في البداية، فلم يتوقع الاحتلال أن يكون وراءنا تنظيم آخر لم يكتشفوه، وبعد خروجي من السجن ظللت سنة في إجازة من التنظيم كي لا يتتبعني اليهود، ولما عدت إليه عدت جندياً).

إن هذا النص الصغير على لسان الشيخ مليء بالدروس التي لو ذهبنا نستقصيها لطال بنا المقام، ولكن حسبنا الإشارة إلى بعضها. إن الشورى في الإسلام ركيزة أساسية من ركائز الحكم، وبالتالي من ركائز العمل الجماعي، إنها أمر الله لرسوله صلى الله عليه وسلم، فهي في حق من دونه أوجب وألزم، إن العقلية الفردية الوحدوية لا تصلح لقيادة العمل الإسلامي، ولا يمكن أن تثمر نتائج فعالة على الأرض، فأنى لفرد اليوم أن يلم بكل جزئيات الواقع واحتياجاته؟!

" والشورى ليست عملاً صورياً شكلياً كما يمارسه البعض، بل هي عبادة ينبغي أن يتمثل فيها العبد مراد الله عز وجل، وأن يقصد بفعلها الوصول إلى أفضل ما ينصلح به الواقع، فهذا أجدر أن يوفق ويهدي لأرشد السبل وأقومها وأصلحها، لا أن يضمر في نفسه القرار، ثم يستشير الناس ذراً للرماد في العيون، فهذا أبعد عن التوفيق. "

إن الشورى الحقيقية تصنع كوادر فاعلة مشاركة في صناعة القرار، متحملة لنتائجه برجولة ومسؤولية، كما أن الجماعة القائمة على الشورى الحقيقية أجدر ألا تنهار بتغييب رأس الجماعة بقتل أو اعتقال، كما أشار إلى ذلك الشيخ ياسين في تجربته مع الحركة. كذلك نستشف من النص المذكور آنفاً إلى أي مدى كانت الحركة تأخذ بأسباب الحيطة والسرية، وتحافظ على أمن المعلومات والأفراد.



فالعدو الصهيوني لم يستطع أن يكشف أو يعرف بوجود التنظيم الرئيسي على الرغم من اعتقاله لبعض الأفراد على رأسهم أحد رؤوس التنظيم وهو الشيخ ياسين، إن وجود سيناريو معد مسبقاً ومتفق عليه من قبل جميع الأفراد، وانسجام رواية كافة المعتقلين لهذا السيناريو أسهم في خداع العدو وإيهامه بأنهم مجموعة صغيرة محدودة في بداية عملهم، وأنه باعتقالهم قد كشف أمرهم وقضى عليهم.

لنقارن هذا بحجم الكوارث التي تحدث للتنظيمات والتشكيلات أو المجموعات الصغيرة بمجرد اعتقال أحد أفرادها اليوم، نجد أنه في بعض الأحيان يسقط التنظيم كله، ويتم الوصول لجميع أفراده أو أغلبهم، ذلك لغياب أو ضعف الخطط الأمنية ووسائل حماية الأفراد والمعلومات، إن هذا الدرس من أهم ما ينبغي أن تتعلمه الحركة الإسلامية من هذه التجارب الفاشلة المريرة، والتي راح ضحيتها شباب من أطهر وأزكى رجالات الأمة في هذا الوقت -نحسبهم كذلك ولا نزكي على الله أحداً-، حري بمن يسعى للعمل تحت سلطان الحكومات الوظيفية أن يجعل السياج الأمني لحماية الأفراد والمعلومات هو أولى وأول اهتماماته، حتى لا نعيد نفس الأخطاء، وتذهب المزيد من الجهود والدماء سدى.

٦ من مظاهر ثبات الشيخ ياسين:

نشرت صحيفة هآرتس الإسرائيلية لقاء مع ضابط الاستخبارات الرئيسي لمصلحة السجون الإسرائيلية سابقا (تسفيكا سيلع)، وهو مستشار نفسي وعميد سابق في الشرطة، وكان بحسب قوله، الوحيد الذي التقى الشيخ الشهيد ضمن لقاءات أسبوعية متتالية طيلة ثلاث سنوات من فترة اعتقاله، فكان مما قاله هذا الضابط في حواره مع الصحيفة عن ظروف اعتقال الشيخ: "لقد اعتقلناه في سجن هداريم في شروط قاسية جداً، بل أذقناه الموت وحرمناه الزيارات، وعزلناه طيلة خمس سنوات في قبو بلغت درجة حرارته أحياناً في الصيف إلى 45 درجة، وبرد متعب في الشتاء، وامتنعنا عن تنظيف القبو". انتهى كلامه.

" رغم هذه الظروف القاسية للغاية، وكون الشيخ الشهيد مقعدًا ويعاني من عدة أمراض مع تقدمه في العمر، إلا أنهم كانوا عندما يساومونه على الخروج كان يرد عليهم قائلاً: "لو اشترطتم عليّ مقابل الإفراج أن آكل البطيخ لرفضت". يا لعظمة هذا الرجل!، وما أعظم استعلاءه وسمو نفسه بالإيمان والعقيدة والارتباط بالله عز وجل. "

إنه درس عظيم في عزة المسلم وإبائه واستعلائه على عدوه، وفي ثباته على مبادئه العليا وقيمه السامية التي تجعله يرفض الخضوع لأي شرط أو قيد للعدو مهما كان بسيطاً، وقد رأينا كم من نهايات مأساوية لشخصيات وحركات انزلقت في هاوية التنازلات، بدأت باليسير ثم لم تتوقف إلا في قاع الهاوية.

إنه وبعد طول مدة الصراع مع عدونا لم يعد من المقبول ألا نفهم حتى اليوم أن سلم التنازلات مع العدو لا نهاية له، وأن من يساوم على حساب دينه ومبادئه لن يبقى له ما يتمسك به بعدها، ولن يكون لاستمرار مقاومته معنى، ولقد أوضح المولى جل وعلا قاعدة تأصيلية في هذا الباب ينبغي ألا نغفل عنها في سياق تعاملنا مع عدونا حيث قال جل ذكره: "ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم"، فمن ظن أنه يمكن أن يسترضيهم ببعض التنازلات

مقابل أن يحصل على رضاهم فهو واهم، فلن يرضوا منك إلا بالانسلاخ التام عن حقيقة دينك، وبتركك الكامل لهدفك الذي خُلِقت لأجله، وهو السعي لإقامة دين الله في الأرض، وإيصال رسالة السماء للعالمين.

فليكن إذا الصبر على الطريق، والأخذ بالأسباب الشرعية المتاحة، والمناورة في حدود مراضي الله عز وجل، مع السعي لعدم تمكينهم من مقاتلك ونقاط ضعفك. وقد صدق الشيخ محمد الغزالي رحمه الله في وصفه للرجال حين قال: "إن الينبوع الذي تسيل منه مخايل الرجولة الناضجة هو الذي تسيل منه معاني اليقين الحي، وإذا وجدت الصبر يساوي البلادة في بعض الناس، فلا تخلط بين تبلد الطباع المريضة وبين تسليم الأقوياء لما نزل بهم، وأول معالم الحرية الكاملة ألا يضرع -يذل- الرجل لحاجة فقده".



٧ استشهاد الشيخ: من عاش على شيء مات عليه

في قصة استشهاد الشيخ رحمه الله دروس عظيمة كسائر حياته المباركة، هذه الحياة التي كرسها الشيخ للعمل لدين الله عز وجل، وظل طوال تلك الحياة يرجو الشهادة ويسعى إليها، فمن أقواله: "نحن طلاب شهادة، ما نطلبش الحياة الدنيا، الحياة الأبدية هي التي نطلبها مش حياة الدنيا التافهة، عشان هيك لا نخاف من هذه التهديدات، بل تزيدنا قوة وإصراراً على المشوار الطويل من أجل النصر والتحرير إن شاء الله). فكيف إذن كانت نهاية هذه الحياة الحافلة بالبذل والفداء والجهاد؟

قبل استشهاد الشيخ بيومين اثنين أصيب بنوبة التهاب رئوي حاد، أدت إلى صعوبة شديدة في التنفس، نقل على إثرها إلى المستشفى لتلقي العلاج، إلا أنه أصر على مغادرة المستشفى بعد تلقي العلاج الإسعافي، مخافة أن يستهدف العدو الصهيوني المشفى المكتظ بالمرضى في كل الأقسام، على أن يكمل العلاج في منزله.

وصبيحة يوم الأحد يعني قبل استشهاده بأقل من ٢٤ ساعة التزم الشيخ المنزل، وظل في حالة صحية بالغة الصعوبة، لم يستطع معها تناول الطعام رغم حاجته للدواء، وفي هذا اليوم الأخير لاحظ مرافقوه زيادة في نشاط طائرات الاستطلاع فوق حي الصبرة الذي يقع فيه منزل الشيخ، فقرر مرافقو الشيخ نقله لمكان آخر للمبيت فيه بعد صلاة العشاء في مسجد المجمع الإسلامي القريب من بيت الشيخ.

لكن بعد صلاة العشاء فوجئ المرافقون للشيخ بأنه قرر أن يعتكف هذه الليلة في المسجد ويغادر بعد صلاة الفجر، ولم تفلح محاولاتهم لإثنائه عن قراره هذا، فقد كانت تلك إرادة الله عز وجل وتدبيره لعبده أحمد ياسين، أن تكون آخر ليلة في حياته اعتكافاً في المسجد، قضاها في تهجد وتسبيح طوال الليل، ثم أُذِنَ لصلاة الفجر، فصلى الشيخ صلاته الأخيرة، ثم خرج بعدها من المسجد لتأتيه صواريخ العدو الصهيوني، فيرتقي إلى ربه شهيداً -نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحداً-.

إنه كرم الله عز وجل لعبده الذي قضى حياته مجاهداً في سبيل نصرة دينه أن يختم له بأعظم ميتة في الدنيا، الشهادة في سبيل الله، لقد كان أهل الشيخ وأحبابه من حوله يرون في نوبته المرضية الأخيرة نهاية الشيخ المسن، لكن يأبى الله إلا أن يكرمه بالميتة التي تمناها طوال حياته، ومن الإشارات والرسائل أيضاً أنها جاءت بعد ليلة أحياها في التهجد والذكر، وختمها بصلاة الفجر في جماعة، وكأنها رسالة لنا جميعاً أن تلك المواطن هي مصانع الرجال، وزاد الأبطال، وسر العظمة والرفعة، وسبيل النصر والتمكين.

رحم الله عبده أحمد ياسين وألحقنا بقوافل الشهداء والمصلحين.

تصنيفات الجيوش

أكذوبة أم حقيقة

محمود جمال



مقدمة:

من حين إلى آخر تطالعنا تقارير لمؤسسات عديدة معروفة بتقاريرها الدورية التي تعمل على تصنيف وترتيب الجيوش من الأقوى للأضعف. ومؤخراً وفي تصنيفها الجديد لعام ٢٠٢٠م ، صنفت مؤسسة "جلوبال فاير باور الأمريكية" المتخصصة في الشؤون العسكرية، الجيش المصري على أنه الجيش التاسع عالمياً، بعد أن كان في المرتبة الثانية عشر العام الماضي. [١]

ويتساءل البعض عن حقيقة ومصداقية تلك التقارير، وما أهميتها، وعلى أي أسس أو معايير تقوم تلك المؤسسات بترتيب الجيوش المختلفة. ونحاول أن نجيب عن تلك الأسئلة في السطور القادمة.

---

[١] Military Strength Ranking، global firepower. link 2020

لا تقاس قوة الجيوش بعدد الجنود وحجم العتاد العسكري فقط، بل تشمل معايير أخرى، لكن تلك التقارير تركز على بعض المعايير وتغفل البعض الآخر، ومن أبرز المعايير التي تعمل عليها تلك التقارير الموقع الجغرافي، والقوة البشرية، إضافة إلى قوتها الاقتصادية.[٢]

وتصنف مؤسسة "جلوبال فاير باور"، أقوى **١٣٨** جيشاً حول العالم، اعتماداً على حجم القوة العسكرية المعلنة، التي يمكن لكل دول العالم أن تستخدمها في الحرب البرية، أو البحرية، أو الجوية، باستخدام الأسلحة التقليدية. لكن ذلك التصنيف لا يشمل الأسلحة النووية، التي تملكها **٩** من الدول، الواردة في قائمة أقوى جيوش العالم، وهو ما يعني أن التصنيف النظري لقوة الجيوش، ربما يتغير، عندما تخوض تلك الجيوش حروباً حقيقة.

وتشتمل معايير التصنيف النظري لقوة الجيوش على مجموعة من العوامل منها موقع الدولة الجغرافي، وحجم الأسلحة، التي تمتلكها، بحسب مجلة "ميليتري ووتش ماجازين"، التي تقول: "التدريب، والاستعداد القتالي، وامتلاك قواعد عسكرية، خارج حدود الدولة، والمنشآت والتحصينات الدفاعية، تعد من أهم العوامل، التي يتم الاستناد إليها في تصنيف قوة الجيوش".

معظم المؤسسات العسكرية التي تعمل على تصنيف الجيوش تعتمد على تسعة معايير وأسس في تصنيفاتها وهي على النحو التالي:

(١) عدد أفراد الجيش المقاتلين:

يعد تعداد أفراد الجيش المقاتلين ونسبتهم من عدد السكان الإجمالي

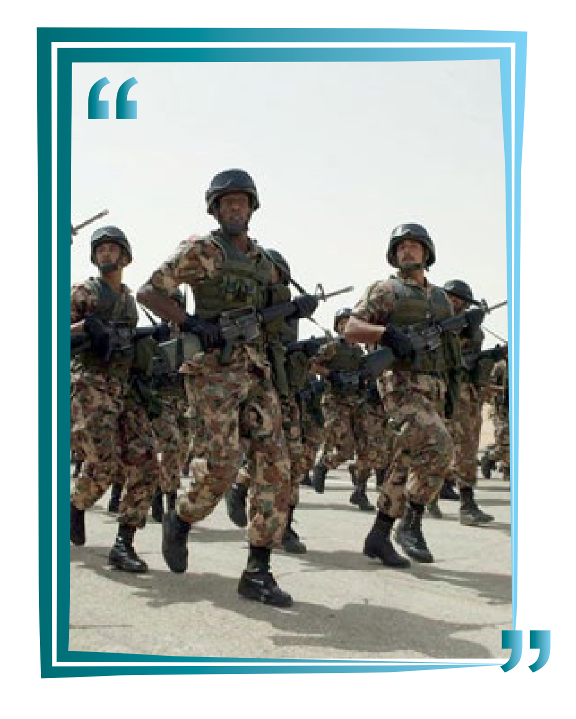
[٢] معايير تصنيف أقوى جيوش العالم، موقع الدفاع والأمن العربي، تاريخ النشر ٠٥ فبراير ٢٠٢٠م، تاريخ الدخول، ٠٦ فبراير ٢٠٢٠م ، الرابط

للدولة، أحد معايير تصنيف الجيوش، لكنه لا يمثل عنصراً حاسماً في التصنيف، بحسب موقع "ستاتيستا" الأمريكي، الذي أوضح أن الجيش الصيني، يعد الأضخم في العالم بـ ٢,١٨ مليون جندي، مقارنة بالولايات المتحدة الأمريكية، التي يتكون جيشها من ١,٢٨ مليون جندي.

(٢) القوة الجوية

تشمل القوة الجوية، لكل دولة، إجمالي عدد ما يملكه جيشها من طائرات حربية، وأنواع تلك الطائرات، ومنها الطائرات ذات الأجنحة الثابتة، والمروحيات، العاملة في كل أفرع الجيوش، إضافة إلى طائرات التدريب، وطائرات النقل العسكري. وبحسب موقع "جلوبال فاير باور"، فإن الطائرات العسكرية المسيرة "درونز" ليست واردة ضمن التصنيف.

(٣) القوات البرية



تشمل القوة البرية، قوة الدبابات وخاصة دبابات القتال الرئيسية، ذات القدرات النيرانية الهائلة، والدبابات الخفيفة، والمركبات المضادة للدبابات. وتشمل أيضاً قوة المدرعات، التي تضم مركبات نقل الأفراد المدرعة، ومركبات القتال المدرعة، والمركبات المضادة للألغام "إم آر إيه بي"، وراجمات الصواريخ، والمدافع ذاتية الحركة.

(٤) القوة البحرية

تُقاس القوة البحرية للدول بعدد ما تملكه من قطع بحرية عسكرية، وأنواع سفنها، ومستوى التسليح والتقنيات العسكرية، التي تحملها تلك السفن. وتعد حاملات الطائرات الحربية، وحاملات المروحيات، والغواصات، النووية والتقليدية،

من الأسلحة التي يشملها تصنيف قوة الجيوش. لكن هذا العامل، لا يكون متاحاً ضمن تصنيف قوة جيوش "الدول الحبيسة"، التي لا تمتلك سواحل بحرية.

(٥) التدريب، والاستعداد القتالي

من المعايير التي تعتمد عليها المواقع التي تصنف الجيوش بشكل دوري، معيار عدد التدريبات العسكرية لأفراد الجيش المقاتلين في مختلف الأفرع والتشكيلات التابعة للجيش "البرية والجوية والبحرية والدفاع الجوي "، وتعتمد التقارير فقط على التدريبات المعلنة، والمفاضلة بين الجيوش تكون عن طريق حساب من يقوم بتدريبات عسكرية أكثر من حيث الكم وليس الكيف.

(٦) الموارد الطبيعية

تعد الموارد الطبيعية، من أهم العوامل، التي يتم الاعتماد عليها في تصنيف قوة الجيوش، خاصة النفط والغاز الطبيعي، والمعادن النادرة، لأنها تؤَمّن قدرة الجيوش على خوض حروب طويلة الأمد، دون أن تكون مجبرة على تغيير خططها العسكرية، بسبب نقص مخزونها الاستراتيجي من الوقود على سبيل المثال.

(٧) الدعم اللوجيستي

تمثل الموانئ الكبرى، الموجودة على سواحل الدول، نقاط قوة تمكنها من توفير الإمدادات اللازمة لجيشها في وقت الحرب، وتمنحها ميزة عن الدول الأخرى. ويعد امتلاك الدولة مراكز دعم لوجيستي خارج حدودها، من أكبر المزايا، التي تجعلها في مرحلة متقدمة من التصنيف العالمي، على قائمة أقوى الجيوش، لأن ذلك يجعل خطوط إمداد قواتها في الخارج، أقل، وهو ما ينعكس إيجاباً، على قدرتها على مواصلة القتال بكفاءة عالية.[٣]

---

[٣] خطوط الإمداد.. شرايين حياة الجيوش، الجزيرة نت، الرابط

(٨) القوة الاقتصادية والإنفاق العسكري:

تعد قوة الدولة الاقتصادية، من أهم عناصر تقييم قوة الجيوش، لأنه يرتبط بقدرة الدولة على الإنفاق على تزويد جيشها بأحدث المعدات العسكرية، والإنفاق على تدريب قوات احترافية، بصورة تمكنها من امتلاك اليد العليا في وقت الحرب، بفضل المزج بين الأسلحة المتطورة، والاحترافية في استخدامها.



(٩) الموقع الجغرافي

تبرز أهمية الموقع الجغرافي للدول، في كل من الحروب الهجومية، والدفاعية على السواء، وهو ما يجعلها واحدة من أبرز معايير تقييم قوة الجيوش. فإذا كانت الدولة تمتلك موقعاً جغرافياً، يقع على خطوط إمداد الدول المتحاربة، فإن ذلك يجعل دورها أكثر تأثيراً في مسار الحرب، بينما يكون استغلال الموقع الجغرافي للدولة، في الحروب الدفاعية، محور خطة الحرب الدفاعية، لصد العدوان الخارجي.

ثانياً: ما تغفله تلك المؤسسات في تقاريرها

إن المعايير والأسس التي تعتمد عليها المؤسسات المهتمة بالشئون العسكرية، التي تزعم أنها تقوم بتصنيف وترتيب الجيوش ومنها تقرير

مؤسسة جلوبال فاير باور الصادر مؤخراً تفتقر إلى عدة عوامل وقواعد أساسية، ومن ضمن تلك العوامل ما يلي:

١ تغفل تلك التقارير مستوى مستخدِم السلاح الحقيقي، بمعنى أن كثيراً من الدول لديها نفس الأسلحة لكن مستخدمي تلك الأسلحة ليسوا على نفس الدرجة من التدريب والكفاءة، وليكن مثلاً الطائرة F 16 فهل مستوي الطيار المصري يعادل مستوى الطيار الأمريكي أو التركي؟

بالطبع، لا. فهناك تفاوت بين مستوى تدريب طياري تلك الدول المستخدِمة لنفس الأسلحة، وكذلك هناك اختلاف في مستوى الطيار داخل الدولة نفسها، فليس كل الطيارين على مستوى واحد من الكفاءة والخبرة، لذلك لا يمكن اعتبار أن الدول التي لديها طائرات أكثر أو طائرات أكثر تقدماً هي دولة في مرتبة متقدمة. فالجيش المصري في الفترة الأخيرة بالفعل تحصل على سلاح نوعي خصوصاً للقوات الجوية وللقوات البحرية، ولكن حوادث سقوط الطائرات متكررة بشكل ملحوظ في الفترة الأخيرة، والسبب الرئيس في تلك الأحداث هو عدم تدريب الأفراد الجيد، بالإضافة أيضاً إلى أن الجيش المصري يعاني بشكل كبير في مواجهة التمرد المسلح في سيناء، ويُرجع الخبراء العسكريون السبب في ذلك الإخفاق إلى عدم التدريب الجيد للأفراد.

٢ قدرات تصنيع السلاح لكل دولة، بالطبع تختلف قدرات التصنيع للسلاح من دولة لأخرى، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن نقارن بين دولة منتجة للسلاح ودولة مستهلكة للسلاح، فالدول المنتجة تضع قيوداً على تصدير السلاح للدول الأخرى وطالما الدولة لا تصنع سلاحها فستكون دائماً تحت رحمة الدول المصنعة للسلاح حتى عند استخدامه، وربما تأخذ السلاح وهو غير متكامل، بمعنى أنه منقوص منه بعض الإمكانيات والقدرات. فعند النظر للطائرات الــ F16 العاملة داخل القوات الجوية المصرية، نرى إمكانياتها مختلفة تماماً عن الطائرات الــ F16 التي تستخدمها القوات الجوية التركية مثلاً أو التي تمتلكها القوات الجوية للكيان الصهيوني، وهذا ما تم أيضاً في صفقة الميسترال التي تحصلت عليها

القوات البحرية المصرية في عام ٢٠١٦ م؛ فحاملة الميسترال التي تحصلت عليها مصر غير مكتملة الأجزاء ولم تُزود بمنظومة حماية الدفاع الجوي كاملة.[٤]



الجيش المصري في تقرير موقع جلوبال فاير باور الصادر مؤخراً أصبح يحتل المرتبة التاسعة عالمياً، بعد أن كان في المرتبة الثانية عشر في تصنيف العام الماضي، بالرغم أن التصنيع العسكري المصري في الفترة الحالية في أدنى مستوياته، وما ينتجه الجيش المصري من تصنيع عسكري لم يلبِ متطلباته العسكرية، وما تصنعه الهيئة العربية للتصنيع ووزارة الإنتاج الحربي في مصر من معدات عسكرية تصدره لجيوش متهالكة وضعيفة من الناحية العسكرية ومعظمها لدول أفريقية[٥]. وبناء على ما كشفة معهد ستوكهولم الدولي لأبحاث السلام (سيبري SIPRI) فإن مصر أصبحت ضمن قائمة الدول الأكثر استيراداً للأسلحة في العالم بين أعوام **٢٠٠٨-٢٠١٢ و٢٠١٣-٢٠١٧**.[٦]

وفي المقابل، جاء الجيش التركي في التصنيف الأخير لجلوبال فاير باور في المرتبة الحادية عشر بعد أن كان التاسع عالمياً، رغم أن الدولة التركية دولة مصنعة للسلاح بشكل كبير، وتقوم بتصدير السلاح للخارج، وبناء على ما كشفه أيضاً معهد ستوكهولم الدولي لأبحاث السلام "سيبري" فإن تركيا ضمن أكبر ثلاث دول صاعدة في إنتاج وتصدير السلاح.[٧]

---

[٤] روسيا تتفاوض مع مصر لتسليح الميسترال المصرية، الدفاع العربي، الرابط

[٥] مصر: مؤسسات العسكر الاقتصادية والطريق نحو الهيمنة، محمود جمال، المعهد المصري للدراسات، الرابط

[٦] مصر: سياسات التسليح العسكري ٢٠١٨ ، محمود جمال، المعهد المصري للدراسات، الرابط

[٧] بالأرقام.. تركيا قوة عسكرية دولية صاعدة، ترجمة الجزيرة نت، الرابط

٣ القدرات الفنية لجيوش الدول المختلفة، تلك أيضاً نقطة لا تقاس ولا تظهر في تلك التقارير، فإذا قارنّا بين دولتين تستوردان نفس السلاح، دولة تُطور هذا السلاح ذاتياً وتقوم بعمل صيانة مستمرة له، ودولة أخرى تشتري السلاح لمجرد الحصول عليه فقط، ومن الممكن أن يكون غير مناسب لطبيعة عملياتها العسكرية بناء على العقيدة البيئية والتنظيمية، ولا تقوم بصيانته أو تطويره اللازم ، فعند عمل تلك المقارنة سنجد أن الدولة التي لا تطور سلاحها ربما تكون أكثر تقدماً في ترتيب تلك التقارير لمجرد أنها اشترت قطع أكثر من هذا السلاح، أو أنفقت أكثر لشراء معدات عسكرية في حين أن تلك التقارير لا تدخل إلى الوحدات العسكرية لتعرف مدى صلاحية السلاح من عدمه.

٤ تلك التقارير تغفل في تصنيفها، مدي نجاحات أو إخفاقات الجيوش في عملياتها العسكرية التي تقوم بها، حتى ولو كانت تقوم بمواجهة جماعات أو حركات غير نظامية مسلحة. فالجيش المصري على سبيل المثال منذ عام 2011م، وإلى وقتنا هذا يتحدث على أنه يقوم بمواجهة "الإرهاب في سيناء" وقام منذ عام ٢٠١١ م، وإلى الآن بسبع عمليات عسكرية هناك، آخرها كان قد أعلن عنها في الربع الأول من عام ٢٠١٨ م ، وهي العملية الشاملة التي من المفترض أن مُهلتها كانت ثلاثة شهور فقط لتطهير سيناء من "الإرهاب" بحسب ما تحدث به السيسي وقتها[٨]، ولكنها مستمرة إلى الآن ولم تؤتِ ثمارها ولم تحقق أي نجاح عسكري حقيقي على الأرض، وإلى الآن هناك خسائر للجيش المصري سواء على مستوى الأفراد أو المعدات، فكيف لتلك التقارير أن تتغافل عن مثل تلك الأمور؟ جدير بالإشارة هنا، أن آخر حرب رسمية شهدها التاريخ الحديث بين جيشين متقاربين في القوة والتسليح هي الحرب العراقية-الإيرانية والتي استمرت ٨ سنوات، وبعد الحرب العراقية-الإيرانية خرجت التقارير الإعلامية للمنظمات العسكرية غير الرسمية (مثل التقارير التي نحن بصددها الآن) تفيد بأن العراق أصبح القوة السادسة على مستوى العالم، في حين أن إيران وقتها تراجعت

---

[٨] "السيسي كلف بالقضاء على الإرهاب". والجيش ينفذ قبل مهلة الـ "٣ شهور"، مصراوي، الرابط

للمركز الرابع والعشرين، ولم تفسر تلك التقارير لماذا لم تنتصر القوة السادسة في العالم في الحرب نصراً عسكرياً واضحاً؟ حيث تمكنت فقط من استعادة الأراضي التي فقدتها من الجيش الرابع والعشرين على مستوى العالم!



٥ تعد العقيدة القتالية سلاحاً هاماً لأي جيش على مستوى العالم وهي لا يمكن قياسها بأي أداة فعلية من أدوات القياس؛ فإيمان الفرد بالقضية التي يحارب من أجلها تجعله يقاتل بضراوة أكثر ويتفوق على نفسه وعلى عدوه مثال الحرب الفيتنامية الأمريكية التي انتصر فيها الجزء الشيوعي من البلاد ضد دولة عظمى (أمريكا) في حين أن كل ما كان يملكه من سلاح في بداية القتال هي بندقية الكلاشنكوف فقط، ضد دولة تملك كل سلاح وأي سلاح، لكن العقيدة القتالية للفيتناميين وإيمانهم بعدالة قضيتهم جعلتهم ينتصرون في النهاية ويطردون أمريكا من فيتنام كاملة، لتصبح أكبر هزيمة مُذلة للجيش الأمريكي في تاريخه القصير . كذلك أيضاً الروح المعنوية لأفراد الجيش من الضباط والجنود سلاح يعد من أقوي أسلحة الجيش لكنه لا يمكن قياسه بأي شكل من الإشكال ولا يمكن إنكار وجوده أيضاً، لكن التقارير الدولية لا تتعرض لهذا السلاح من قريب أو بعيد.[9]

---

[٩] أكذوبة التصنيف الدولي للقوات المسلحة المصرية، المجموعة ٧٣ مؤرخين، الرابط

٦ تلك التقارير تتعامل مع ما هو ظاهري فقط، وهذا لن يعطي نتيجة دقيقة، لأن العمل العسكري والأمني من أهم عوامله هو عامل السرية، فالجاهزية القتالية هي أحد أسرار الجيوش التي تحاول بشتى الطرق إخفاءها عن الأعين وعن أجهزة المخابرات المعادية و حتى الصديقة، لأن الجاهزية القتالية للجيوش تساوي للعدو أكثر مما تساوي أنواع السلاح التي أصبحت معلنة للجميع على كل مواقع شركات تصنيع السلاح، لذلك تعتمد أجهزة جمع المعلومات على جمع معلومات دقيقة عن الجاهزية القتالية للجيوش بينما تتغافل تلك التقارير المنشورة عن تلك الجزئية ولا تتعرض لها في الإنفوجراف الذي تنشره بصفة دورية ويتصارع الجميع على التفاخر به فوراً على الصفحات العسكرية علي الإنترنت أو البوابات الإعلامية للصحف والمجلات.

ختاماً

تقارير ترتيب جيوش العالم هي تقارير غير واقعية وغير مهنية من وجهة نظري، وتنقصها العديد من الجوانب، ووسائل الإعلام المختلفة وتحديداً في منطقة الشرق الأوسط على نحو خاص، تستغل تلك التقارير وتوظفها سياسياً، من أجل تضخيم وتهويل إمكانيات وقوة جيش ما وهو في الواقع على العكس من ذلك تماماً، أو الحط والتهوين من قوة وإمكانيات جيش آخر وهو على العكس تماماً؛ وهذا في العلوم العسكرية يُسمى ”الحروب النفسية أو التوجيه المعنوي“ والتي يقع أثرها فقط على الرأي العام؛ وهذه التقارير تُستخدم بذلك الشكل في دول منطقة الشرق الأوسط وخاصة العربية منها من أجل إيهام شعوب تلك الدول بعكس الحقيقة، ولعل ما كان يقال للشعب المصري قبل هزيمة **١٩٦٧م**، دليل على ذلك.

وفي النهاية، إن تقارير مؤسسة جلوبال فاير باور وغيرها من المؤسسات التي تصنف بشكل دوري الجيوش طبقاً لمعايير منقوصة من وجهة نظري، تقدم جهداً من الممكن البناء عليه واستكماله من قِبل المراكز البحثية التي تسعى لإخراج تصنيفات موضوعية.



ومن الممكن أيضاً أن مؤسسة جلوبال فاير باور والمؤسسات الغربية الأخرى المشابهة لها، أن يقدموا عملاً بحثياً قيماً موضوعياً، يبنى عليه وتستفيد منه الجيوش والمؤسسات البحثية المهتمة بالعلاقات المدنية العسكرية، التي تحاول أن تصلح من مسار بعض الجيوش في منطقة الشرق الأوسط تحديداً، وتحاول الوقوف على نقاط القوة والضعف لتلك الجيوش حتى تعمل على إصلاحها، إذا وضعت تلك المؤسسات في اعتبارها وأدخلت من ضمن معاييرها النقاط التي ذكرنا بعضها سابقاً، ومن وجهة نظري هذا هو الهدف الأساسي الذي يجب على تلك المؤسسات أن تضعه من أوليات أهدافها، وليس أن تقدم تصنيفات مبتورة تستغلها بعض النظم وتوظفها سياسياً، وتبقي بالتأكيد أهداف تلك المؤسسات هي الحاكمة ومن يقف خلفها، الذي ربما يريد أن يقدم عملاً سياسياً ليس هدفاً بحثياً علمياً يقدم النتائج بطريقة موضوعية.



رحلة مع صائد الجواسيس

أحمد الحمدان

فرغت من كتاب **(صائد الجواسيس)** لبيتر رايت، والذي يتكون من ٤٠٤ صفحة.

❞ وقديماً أثناء متابعتي لمواد الشيخ الفاضل عمر بن محمود (أبو قتادة)، رأيته غير مرة يمدح ويُثني على هذا الكتاب، فيقول في تغريدة له: (هناك كتاب لا يفوتك اسمه: صائد الجواسيس لبيتر رايت، لتعلم الفرق بيننا وبينهم، ومقدار سذاجتنا في التعامل مع هذه القضايا، وخلافهم لنا في هذا). ❝

وبعد قراءتي له أقول: إن هذا الكتاب من أفضل ما قرأت في هذا الباب، وهذا الكتاب يصلح معياراً لقياس الكتب المعاصرة التي كتبها ضباط متقاعدون؛ فهي منزوعة الدسم، مجردة من كل التفاصيل المهمة إلا ما ندر، أما هذا الكتاب فهو كثير الدسم من أوله الى آخره.

واستخدم عنوان (صائد الجواسيس) ربما لإمساكه بأكثر من جاسوس في (الجرم المشهود)، وتحقيقه في قضايا الاختراق المضاد، وإسهامه في أكبر قضية اختراق (خماسي كامبريدج)، وغير ذلك الكثير ممن مضت عقود على انتهاء عمالتهم وأصبحوا على حافة الموت.

تستطيع أن تقول إن الكاتب قد أرخ لعقود من تاريخ الاستخبارات البريطانية الداخلية (IM5) بشكل مفصل ودقيق للغاية. وهذه الدقة والتفصيل لا تعجب الساسة والمسؤولين ولا كبار رجال الاستخبارات، ولذلك منع الكتاب من التداول وأصبح محظوراً. وبناءً على قاعدة "كل ممنوع مرغوب"، ازداد الطلب عليه وزادت مبيعاته بكثرة، ولعل ذلك كان تعويضاً له، فهذا الكتاب أشبه بضربة مؤجلة الدفع قد سددها بيتر رايت إلى الحكومة البريطانية؛ لأنها حرمته من راتبه التقاعدي الكامل، بعد أن أُعطي وعداً شفهياً بضم سنوات عمله السابقة إلى سنوات عمله في الاستخبارات، ولكن فجأة قبيل التعاقد أصبح هذا الوعد الشفهي عديم القيمة.

"وتكتشف من خلال هذا التاريخ أن أجهزة الاستخبارات لم تكن لتصل إلى ما وصلت إليه حالياً، إلا من خلال عثرات وأخطاء عظيمة أُسيلت بسببها دماء وأُزهقت لأجلها أرواح، وأنها أجهزة اُخترقت حتى العظم، وتجد مثلًا تخبطات من قبيل أن الكثير من الجواسيس دخلوا الاستخبارات ووصلوا إلى مناصب حساسة دون التدقيق في خلفيتهم والبحث في ماضيهم!"

وقد مُنيت بريطانيا بهزيمتين قاسيتين بهذا الصدد:

الأولى: من قِبل (خماسي كامبريدج)؛ وهم خمسة طلاب كانوا يدرسون في جامعة كامبريدج في الثلاثينات وكانت لهم ميول يسارية، وأصبحوا يعملون لصالح الاتحاد السوفيتي، كان أبرزهم كيم فليبي، الذي عمل في الاستخبارات البريطانية الداخلية (MI5) والخارجية (MI6)، ووصل إلى مناصب كبيرة أهمها كان بمركز مكافحة التجسس السوفيتي، فكان الذي يحاول أن يصطاد الخونة هو الخائن!

ثم استطاع فليبي بعد انكشاف أمره الهروب إلى الاتحاد السوفيتي والعيش فيه إلى أن هلك، وله مذكرات مطبوعة ومترجمة بالعربية بعنوان (الحرب الصامتة) من ترجمة عبد الله كحيل. وتكلم ستيفن غراي بشكل موجز عن فليبي وخماسي كامبريدج في فصوله الأولى من كتابه (أسياد الجاسوسية الجدد).

ولكن لا شك أن هذا الكتاب يعد من المصادر الرئيسية لتناول خلية خماسي كامبريدج وأثرها على الداخل البريطاني.

أما الهزيمة الثانية التي مُني بها البريطانيون ولم يتكلم بيتر رايت عنها كثيراً في كتابه هذا - فهي التي تسبب فيها (جورج بليك)، الذي سرب للروس أمر نفق برلين، والذي وشى بالكثير من الجواسيس البريطانيين داخل الاتحاد السوفيتي.



> أما الأطروحة الكبرى التي قام عليها الكتاب، فهي احتمالية أن يكون رئيس MI5 (وجر هوليس) عميلًا سوفيتياً! ونشأ هذا الاعتقاد نتيجة فشل بعض العمليات بشكل متتابع؛ وكأنَّ أحدهم تدخل ليفشلها، وكما أن هذه العمليات المتنوعة لم يكن ليطّلع عليها إلا الرئيس ونائبه، فأصبحا داخل دائرة الشك، فخاض بيتر رايت حرباً ضروساً لإثبات هذا الزعم.

وكذا في خاتمة الكتاب تكلم عن عمالة رئيس الوزراء البريطاني هارولد ويلسون، وتقاطع السياسة مع الاستخبارات، وكيف أن الاستخبارات حاولت بكل قوتها أن تتدخل في السياسة من أجل إسقاط ويلسون الذي ترى خيوط عمالته للاتحاد السوفيتي، والذي بوصوله إلى هذا المنصب سيكون هنالك ضرر بالغ، فلذلك ليس صحيحاً أن المؤسسات الاستخباراتية حيادية تماماً، وأنها لا تتدخل في شأن السياسة الداخلية.

حسناً، فكيف نجح الاتحاد السوفيتي في اللعبة الاستخباراتية المروية في هذا الكتاب؟

" لقد نجح عندما استطاع أن يصنع دائرة من الشك في صفوف خصومه، وقد استخدم أسلوب (المنشقين) لصالحه، وقد احتاجت الاستخبارات الغربية سنوات إلى أن تتعافى من هذا الأثر المدمر. "

فهنالك ستار حديدي وضعه الاتحاد السوفيتي على نفسه؛ أي جدار من السرية والغموض، فعندما يأتي منشق ذو منصب رفيع تتلقفه وتتلقف ما يقول بالأيدي والأحضان، فانتهج السوفييت سياسة مزدوجة اقتضت أن يضحوا بجواسيس لهم من أجل أهداف استراتيجية بعيدة المدى؛ فضحوا بجاسوس من أجل زيادة الشك وعدم الثقة فيه لدى الأطراف الغربية المناوئة لهم.

وقد استطاع الاتحاد السوفيتي أن يكون متقدماً بخطوة على قرنائه الغربيين في جانب الجاسوسية، حتى عندما كان في أضعف حالاته، فقد دحرج رؤوس الجواسيس الأمريكان في الثمانينات بسبب العميل إريك إيمز الذي كان يعمل رئيس قسم مكافحة التجسس!

ولم تكن بريطانيا مبادرة للاتحاد السوفيتي، وبسبب "النظام الديمقراطي" و"احترام حقوق المواطنة"، لم تستطع مثلًا استخدام أساليب التعذيب من أجل استخراج المعلومات، ولو رفض المشكوك في أمره التعاون لما استطاعوا أن يفعلوا حياله شيئاً، إلا أن ينقلوه من مكان عمله -إن كان في موطن يطلع فيه على أسرار البلاد-، وحتى لو اعترف فلا يستطيعون أن يحصلوا على اعتراف كامل، فقد تجد أن هذا الجاسوس يراوغ ويحمي أصحابه من خلال التضحية بنفسه، ولو تعجل ضباط المخابرات في القبض على الجاسوس قبل (الجرم المشهود) حتى ولو عثر معه على أدوات استخباراتية لا يعني هذا الإدانة، فقد برأت المحكمة جاسوساً لعدم وجود دليل أنه استخدم هذه الأدوات للتخابر مع جهة أجنبية من أجل الإضرار بمصالح البلاد!



بخلاف الاتحاد السوفيتي، الذي لم يكن يجد نفسه مُلزماً حيال مواطنه بهذا القدر من الالتزام والمراعاة؛ فلا مانع من تعذيبهم وسحقهم سواء توفرت الأدلة الكافية أو لم تتوفر، فلذلك أشعر أنه كان متقدماً بخطوة على الغربيين في مجال مكافحة التجسس؛ لأن الخيارات لديه أكثر وأكبر مساحةً.

وكانت أغلب قضايا التجنيد التي يتخذها الاتحاد السوفيتي مدخلًا هو الجانب الأيديولوجي، ففي ظني ما من أيديولوجية تنتهج النهج الثوري وتكون خلفها ماكينة إعلامية تسويقية إلا وتجتذب الشباب تلقائياً.

”حسناً، في هذا الكتاب لن ترى أن الواقع البيروقراطي في المؤسسات الغربية واقع مثالي، بل تكتنفه الفوضى والتخبط؛ وأحياناً يضيع حق أحدهم من الراتب التقاعدي بسبب هذا التخبط، وقد ينقص التمويل لهذه المؤسسات مما يجعل قدراتها محدودة حتى وهي في ذروة الحرب الباردة وفي مقدمة الجبهة ضد الاتحاد السوفيتي!“

وقد تحصل الحروب بين الأقسام الاستخباراتية البريطانية وقد تحصل أنواع من النزاعات بين الأقسام الداخلية بهذه المؤسسات، وسياسة الأقسام قد تتغير جذرياً بتغير الرئيس، فقد تمشي خمس سنوات وفق خطة معينة ويتغير الرئيس يُلغى المشروع! أو تطرأ عليه تعديلات، فليست تلك مؤسسات "ديمقراطية" مطلقة بل للرئيس فيها صلاحيات تنفيذية مُلزمة. وإن لم تلتزم بهذه التعليمات (كما حصل مع آرثر) ستُطرد وإن طردتَ فقد يضيع راتبك التقاعدي.

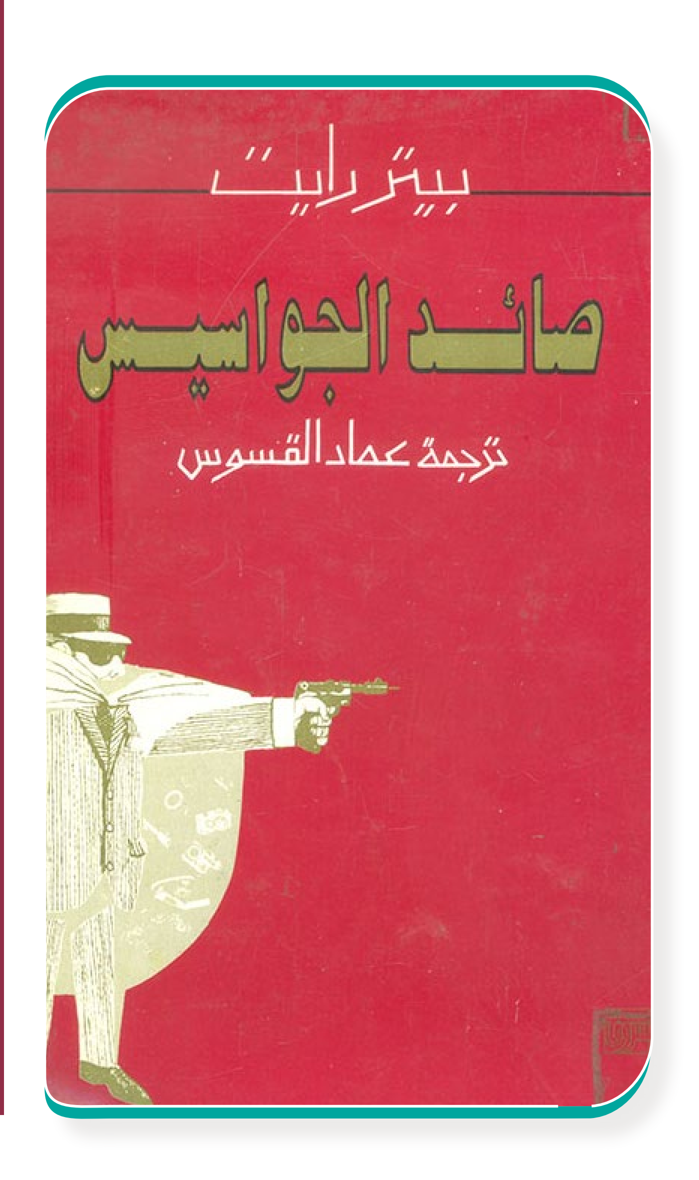
المؤسسات الاستخباراتية أو العسكرية تميل الى أن يترأسها شخص من داخل المؤسسة، يعرف كيف تدار المؤسسة، بخلاف لو أتى شخص من خارجها فقد يُفسد أكثر مما يصلح، فلذلك ترى أن الاستخبارات البريطانية الداخلية IM5 عندما حاولت الجهات العليا بها فرض مرشح من خارج المؤسسة، نزلت بكل قوتها سواء عن طريق الوسطاء أو من خلال الاستعداد من أجل العصيان الجماعي! وتجد أن المؤلف لا يألو جهداً في إثبات هذا التخبط وتقاطع السياسة والجاسوسية في الكثير من الأحداث، كأحداث قبرص وإيرلندا الشمالية، وبهذا الصدد له نص صريح ومهم يقول:

(تركت قضية قبرص طابعها على السياسة البريطانية بخصوص المستعمرات؛ فقد تخلت بريطانيا عن مستعمراتها بنجاح أكبر عندما استطعنا أولاً هزيمة التمرد العسكري باستخدام الطرق المخابراتية بدل استخدام قوة السلاح وقبل البدء في التفاوض على حل سياسي مع قيادة حركة التمرد المهزومة، ومن ثم من خلال استخدام الجيش البريطاني لتثبيت وضع الحكومة التي يتم تعيينها، وهذا ما حدث فعلاً في الملايو وكينيا حيث بقي وضع حكومتيهما مستقراً بحماية الجيش البريطاني.

كانت المشكلة الرئيسية فيما يتعلق بالمستعمرات هي كيف يمكن إخراج السلطة الاستعمارية مع ضمان قدرة الجيوش المحلية على تعبئة الفراغ. وبمعنى آخر كيف يمكن أن تخلق سلطة محلية مستقرة؟ كانت وزارة المستعمرات متمسكة بالنماذج الديمقراطية والأكاديمية المعقدة- دستور هنا وبرلمان هناك- والتي كان قليل منها فقط يعمل بنجاح. بعد تجربة قبرص كتبت تقريراً قدمته لهوليس شرحت فيه أفكاري. فقلت إنه ينبغي علينا أن نتبنى النموذج البلشفي، حيث ظهر أنه الوحيد الذي نجح. لقد فهم لينين أكثر من أي إنسان آخر كيف يسيطر على بلد ما، ومن ثم كيف يحتفظ بهذه السيطرة. بالنسبة له كلا الأمرين نفس المستوى من الأهمية. كان لينين يؤمن بأن على السلطة أن تسيطر على الناس بالبنادق وبجهاز المخابرات، وبهذا تستطيع أن تضمن عدم تحدي الجيش أو أية سلطة أخرى لها). **صـ١٧٠.**

أنا أتفق كلياً حول النموذج البلشفي؛ وقد أسماه بعضهم بـ(دكتاتورية البروليتاريا)، وهذا مهم لتشكيل النظام السياسي؛ فالنظم الإسلامية مثلًا لن تُقام بتوافق كلي خصوصاً مع الأطراف العلمانية بكافة مللها ونحلها، فحينئذ لابد أن يُفرض هذا النظام فرضاً بالقوة، ولا يكون هنالك رأسان محتكمان في بلدٍ واحد، وبعد استقرار هذا النظام يتدرج في الإصلاح، إذ لا يمكن أن يصلح وهنالك من له المجال لأن يهدم.

وركز هذا الكتاب بشدة حول الأساليب التقنية الموجودة في الخمسينيات والستينيات في التجسس، ولفت انتباهي أن (الكمبيوتر) كان متاحاً في تلك الحقبة، رغم أني كنت أظن أنه لم يُتح إلا في الثمانينات التي يبدو أنه أصبح فيها متاحاً للعامة، وإلا فالمؤسسات تستخدمه قبل ذلك الوقت بعقود.



وتكلم باستفاضة عن اختراقه للسفارة المصرية في بريطانيا، على إثر ما سُمي بأحداث قناة السويس، فبعدما عرفوا أن نظام التشفير المستخدم من قبل المصريين هو (هاجلين)، وضعوا خطة من أجل كسر هذه الشفرة، بزرع أجهزة تنصت في الغرفة التابعة للسفارة المصرية في لندن، فكانت الطريقة المفضلة لزرع الأجهزة بتعطيل هواتف السفارات، فتقوم تلك السفارات بتبليغ مكتب البريد، والذي يقوم بدوره بإرسال مهندسيه والذين هم في الأصل جواسيس، فدخل بيتر رايت نفسه السفارة المصرية على أنه مهندس سوف يُصلح الخلل، يقول بيتر:

(فقد مكنتنا هذه العملية المشتركة بين IM5 وقيادة الاتصالات الحكومية من قراءة الشفرة المصرية في لندن أثناء أزمة السويس. وكان المصريون يستخدمون في مختلف سفاراتهم في العالم أربعة مفاتيح شيفرة، تم حلها جميعاً... كانت أهم معلومة استطعنا الحصول عليها من حل الشيفرة هي المتابعة المستمرة للمباحثات المصرية السوفياتية في موسكو، والتي كان يتم إعادة بث تفاصيلها إلى القاهرة عبر السفارة المصرية في لندن مباشرة من السفير المصري في موسكو. أقنعت المعلومات التي تبث عبر هذه القناة لجنة الاستخبارات المشتركة بأن السوفيات جادّون تماماً في تهديدهم بالدخول في أزمة السويس إلى جانب المصريين. كانت إحدى الرسائل متميزة في تأثيرها. فقد وردت فيها تفاصيل اجتماع بين وزير الخارجية السوفياتي والسفير المصري حيث أكد الروس نواياهم بحشد الطائرات للتحضير لمواجهة مع بريطانيا. وقد أدت محتويات هذه البرقية التي سلمت فوراً إلى اللجنة الاستخباراتية المشتركة إلى إجبار إيدن على الانسحاب. أما الأثر الثاني لهذه البرقية فقد كان على الأمريكيين إذ كانت قيادة الاتصالات الحكومية تطلع شريكتها الأمريكية -جهاز الأمن القومي- على المعلومات التي لديها. وأنا واثق من أن هذه المعلومات لعبت دوراً أساسياً في الضغط الأمريكي على بريطانيا لإنهاء الأزمة) صـ**٩٥-٩٤**.

ثم ذكر أن هذا بمثابة إنجاز للاستخبارات الداخلية البريطانية، ثم عرض بالـ IM6 وأنهم لم يقوموا إلا بعملية خرقاء لاغتيال عبد الناصر، ثم شرحها في موضع متقدم فقال: (في بداية أزمة السويس قامت IM6 بوضع خطة لاغتيال جمال عبد الناصر باستخدام غاز أعصاب، وقد وافق إيدن في البداية على العملية، ولكنه ألغاها فيما بعد عندما حصل على موافقة فرنسا وإسرائيل للقيام بعمل عسكري مشترك. وعندما فشل هذا العمل وأُجبر على الانسحاب عاد إلى خيار الاغتيال مرة ثانية. وفي هذا الوقت كان جميع عملاء IM6 في مصر قد سيطر عليهم عبد الناصر، فقاموا بتخطيط عملية أخرى تعتمد على الضباط المصريين المنشقين عن عبد الناصر، ولكنها فشلت فشلاً ذريعاً، ويعود فشلها بشكل أساسي إلى أن المخبأ الذي وضعت فيه الأسلحة في إحدى ضواحي القاهرة كان معطوباً) **صـ١٧٢**.



●● عموماً تكرر اختراق النظام المصري في حروب مصر المصيرية، فمثلًا استطاع أحد ضباط وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية الحصول على كل خطط مصر وسوريا العسكرية لحرب أكتوبر سنة **١٩٧٣** والتي تذكر بالتفصيل ترتيب القتال وموضع كل وحدة، كما ذكر ذلك ستيف غراي في كتابه (أسياد الجاسوسية الجدد، **ص٧٩**).

●● عموماً الكتاب فيه الكثير من التفاصيل، وأظن أنها مدخل مهم لمجال الاستخبارات في الحقبة الباردة، ولكن يعيب الكتاب كثرة ذكر الأسماء، بشكل تحتاج معه إلى ورقة خارجية لتعريف كل اسم وما دوره؛ فالمؤلف كما هو واضح وجه الخطاب إلى الداخل البريطاني وربما لم يكن مهتماً بمن هم خارجه، فمن هم في الداخل في تلك الحقبة يعرفون تلك الأسماء ودورها في الحياة العامة، فلذلك ربما لم يكن مهتماً بشرح أبعاد كل اسم يذكره، وهذا قد يُشتت القارئ خارج بريطانيا أو الذي لم يعش تلك الحقبة ويعرف شخصياتها.

هذا والله أعلم، وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين.



ألا إن القوة الرمي

محمد حافظ

لي ولعٌ إلى جانب المطالعة في التاريخ بالرماية.. اكتشفت هذا الشغف في نفسي فقط حينما تقربت إلى الله شبراً.. خرجت شبراً خارج نفوذ الطغاة وماكينتهم الهائلة للقمع والتدجين، فتنفست نفسي بقايا الفطرة هواءً جديداً غير مسمم، فأزهرت وأينعت وتعافت رويداً رويداً.. وكان مما بزغ هذه الهواية.

وأضناني البحث في المكتبة العربية عن كتب في علوم الرماية فما وجدت شيئاً ذا بال، في حين تجد عشرات العناوين القديمة لكتب في الرماية كتبها أئمة من سلفنا الصالح.. من أمثال: (النهاية في علم الرماية) لحسين بن اليونيني، و(تحفه الطلاب في علم الرمايه والنشاب) لسليمان بن خليل بن سليمان الرامي، و(الكفاية في علم الرماية) لمحمد بن علي الحنفي الهاشمي العلوي، و(الكفاية في علم الرماية) للأصيل الحنفي.

وللخطيب البغدادي كتاب (الكفاية في معرفة أصول علم الرماية)، والإمام الطبراني المشهور الذي هو (مسند الدنيا) كما قال الإمام الذهبي له كتاب في الرمي، وكذلك الإمام ابن جماعة له كتاب (أوثق الأسباب في الرمي بالنشاب)،وكذلك السيوطي له كتاب (غرر الأنساب في الرمي بالنشاب).

ولو ذهبت أعدد الأئمة المشهورين الذين لهم كتب في علم الرمي لزادوا عن الأربعين فيما أحسب.. بل كانوا يعدون الرمي -إلى جانب كونه أحد كمالات الرجال- أحد العلوم الشرعية، ففي تكملة المجموع للمطيعي شرح المهذب للنووي أن (الرماية بالبندقية وغيرها من المستحدثات من فروض الكفايات)[1].

وفي (أجوبة الإمام التسولي المالكي) ذكر أن ترك تعلم الرماية من البدع المحرمة[2].

" وصنف بعضهم في هذا العلم على شكل منظومات ليسهل حفظها على الطلبة كسائر العلوم الشرعية التي يجري نظمها، فلدينا مثلاً (المنظومة اللامية) وشرحها في علم الرماية لمحمد بن علي الرامي.. وكانت نسبة بعض العلماء (الرامي) كما ترى، وهي نسبة للرمي بالقوس والنشاب.. ذكره الإمام السمعاني[3]. "

---

(١) ١٥/٢٠٣

(٢) ص٢٤٦

(٣) الجواهر المضية في تاريخ الحنفية ٢/٦٣

ويبدو أن الولع بالرماية كان أمراً منتشراً عند السلف ومن هديهم وطباعهم.. فهذا البخاري "كان يركب إلى الرمي كثيراً، فما أعلمني رأيته في طول ما صحبته أخطأ سهمه الهدف إلا مرتين" كما يقول أحد ملازميه(٤).



وهذا الشافعي يقول إن همته كانت منحصرة في شيئين، العلم والرمي: "فنلت من الرمي حتى كنت أصيب من عشرة؛ عشرة".(٥) وأنه كان يلزم الرمي حتى كان الطبيب يقول له أخاف أن يصيبك السل من كثرة وقوفك في الحر".

فهذا يدل على فضل علم الرمي عندهم حتى ينشغل به أئمة أمثال الشافعي والبخاري على كثرة مشاغلهم وضيق أوقاتهم.. والمدعون اتّباع السلف في زماننا ربما يعدون البنادق والرصاص من النجاسات الواجب اجتنابها، والكلام عن أحوال هذه الكائنات المخاطية ممرض، فلنضرب عنه صفحا..

وقبل الشافعي والبخاري كان الصحابة قد بلغ من إتقانهم للرمي أنهم في إحدى معاركهم مع الفرس ركزوا الرماية على عيون الأعداء، فقلعوا ألف عين، وسميت المعركة لذلك "ذات العيون"، وهي معروفة حدثت عام **١٢هـ**.. وهذا مستوى مذهل في القنص لم يبلغه أمهر رماة عصرنا فيما أعلم رغم تطور أسلحتهم واتساع علومهم.

" وكان القاضي الحموي قد ذكر أن (أئمة الرمي بعد سعد بن أبي وقاص أربعة، ولكل واحد منهم مذهب: أبو هاشم البارودي، وعبدالرحمن الطبري، وطاهر البلخي، وإسحاق الرفاء).. قد كان علماً مستقراً إذن، وفيه مذاهب ومدارس، وله أئمة! "

---

(٤) تاريخ الإسلام، ١٩/٢٦٠

(٥) توالي التأسيس، لابن حجر **ص٦٧**

وذكر الذهبي ترجمة لعالم يدعى: الغرافي، وقال إنه (كان رأساً في الرمي.. وله تلامذة).[٦]

وذكر المقريزي في ترجمة محمد الصغير القازاني أنه: (لم يخلف بعده مثله في حسن الرمي وتعليمه وعلومه، وهو أحد الأفراد الذين أدركناهم من أرباب الكمالات)[٧] . وله رسالة مطولة في علم الرمي[٨] .

وابن عراق الدمشقي، لزم شيخه ثلاث سنوات كاملات لتعلم الرماية فقط[٩].

" وتدل هذه الشواهد وأمثالها أن الرمي كان علماً كسائر العلوم له قواعد وأصول مستقرة، وليس مهارة شخصية فحسب.. ففيه كتب وشيوخ وتلامذة ومذاهب وملازمة وتدريب لسنين. "

بل نجد إشارة مهمة وغريبة في ترجمة درويش الحنفي، أنه (كان نقيباً للرماية بدمشق).. وله كتاب (مفتاح كنز در النظام في أصل الرماية وتعليم الغلام)[١٠]. فوجود نقابة للرماة بالمدن الإسلامية إشارة أخرى إلى نوع من المؤسسية لم يتناوله أحد بالدرس والتحليل فيما أعلم.

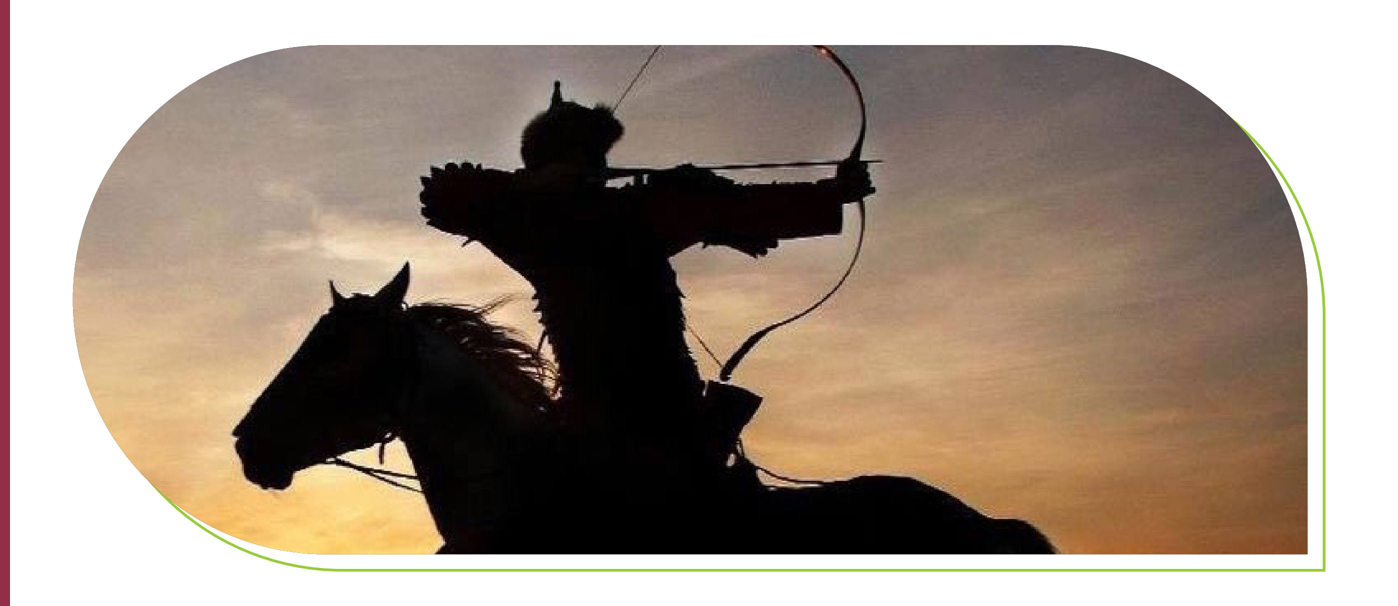
•• وأستطيع أن أذكر مئات الشواهد التي تعضد وتكمل بعضها في هذا الباب، فكم وكم مرّ عليّ في الكتب مثل ذلك مما قد يكون كتاباً في مجلد لو جمعته، وفي النية تصنيف كتاب في الرمي، ربما أضع فيه فصلاً عن تاريخ الرمي في الحضارة الإسلامية..

ثم نقفز قفزة واسعة لنصل لعصر المماليك، فقد كان بعض سلاطين المماليك يمتحنون الفقهاء وطلبة العلوم الشرعية في الرماية، فمن لم

(٦) تاريخ الإسلام للذهبي ٥٢/٤٣٨
(٧) النجوم الزاهرة ١٦/١٧٣
(٨) زين الدين الحنفي في (نيل الأمل في ذيل الدول) ٥/٤٢٧
(٩) (شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ١٠/٢٧٣
(١٠) معجم المؤلفين ٧/١٩٦

يتقنها عاقبوه وأوقفوا راتبه، وكان على الجندي ليتخرج من مدرسة الرمي أن يصيب بأسهمه هدفاً على مسافة **٧٥** متراً ثلاث مرات خلال ثانية ونصف؛ كما يقول جيمس واترسون في كتابه فرسان الإسلام[١١].

ويقول أيضاً إن أحد تدريبات الجيش المملوكي رماية عدة أسهم (أثناء ركوب الحصان) على نصل سيف مثبت في الأرض، بحيث يشق السيف السهم نصفين![١٢].



" ثم قفزة أخرى للعثمانيين، فنجد مصادر تذكر أن السلطان أحمد الثالث أصاب عُملة برصاصة على بعد **٨٥** متر.. وهذا شيء يحسنه الرامي المتوسط اليوم.. ولكن منذ **٣٠٠** سنة وبمعدات وذخائر غير معيارية فلا شك أنك ستحتاج مهارة فائقة لتعوض بدائية أدواتك.. ومؤرخ غربي يقول إن سليماً الثالث المتوفى في أوائل القرن التاسع عشر رمى سهماً أصاب به هدفاً على مسافة **٧٣٢** متراً[١٣].. وهذا أمر قد لا يمكننا تصديقه، ومن له إلمام بسيط بفن القنص وعلم المقذوفات يعلم الصعوبات التي تكتنف شيئاً كهذا. "

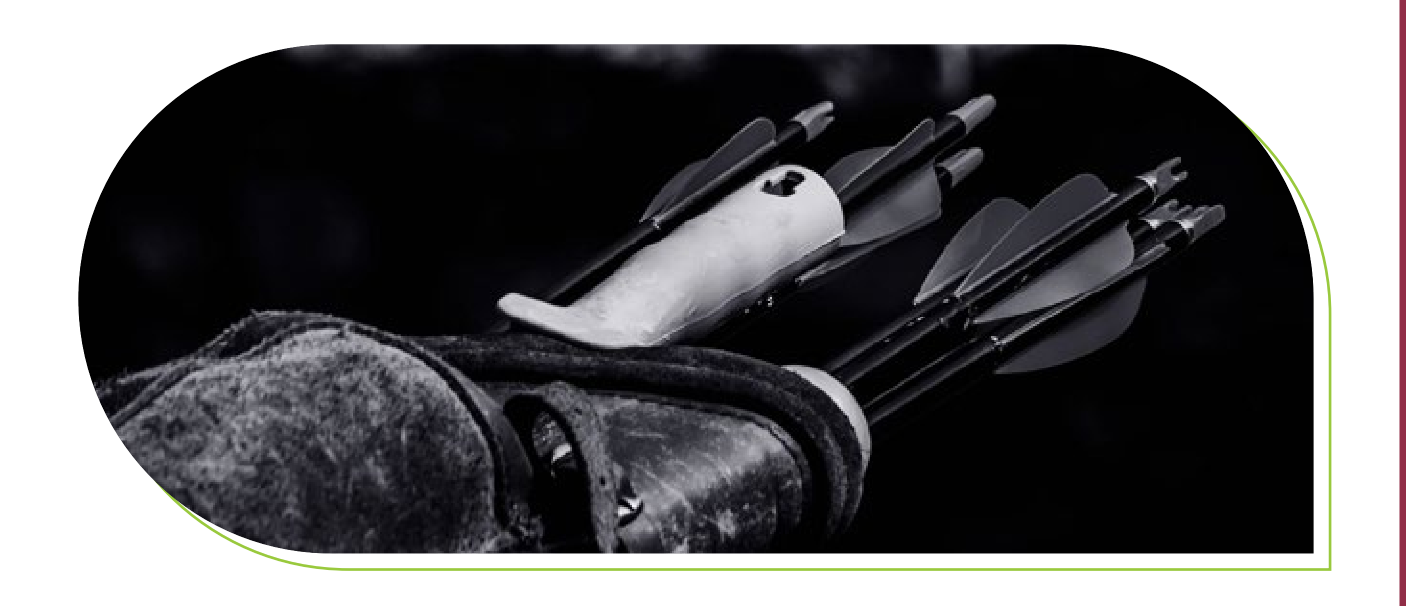
(**١١**) فرسان الإسلام، **ص٢٤٢**

(**١٢**) نفسه،**صـ٢٩٤**

(**١٣**) يذكر ذلك المؤرخ Ralph Payne-Gallwey في كتابه -history, construction and effects in war fare of the projectile-throwing engines of the ancient صـ ٢٢ والرجل مؤرخ ومهندس وخبير باليستي

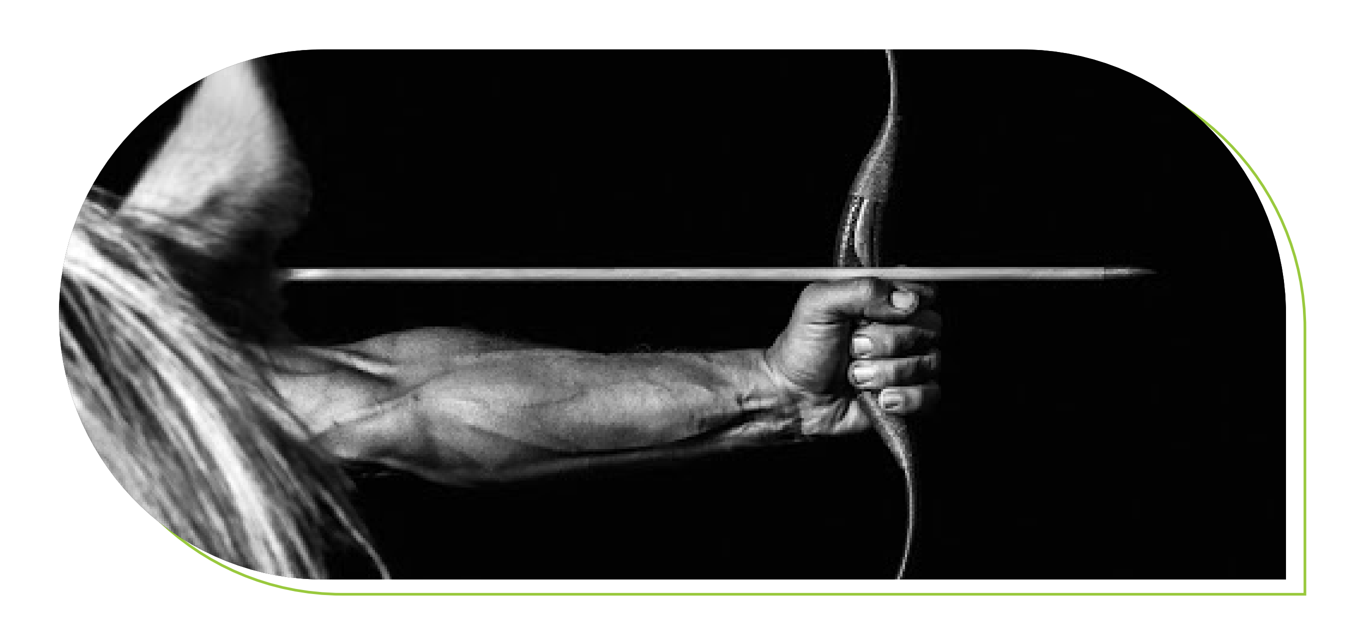
وعلى ذكر علم المقذوفات (الباليستيكس) فهذا العلم هو ابتكار إسلامي، وضع أسسه محمد الفاتح، كما ذكر المستشرق النمساوي فون هامر (ت 1856م) في كتابه الضخم عن الدولة العثمانية، كل ما يتعلق بعلم المقذوفات بدءاً من الطلقة التي تخرج من البندقية وانتهاءً بالصاروخ الذي يضع قمراً صناعياً حول الأرض، كانت بدايته راجعه للأسس التي وضعها المسلمون.

وأدهشني أحد رفقاء الرماية حين قال إننا عالة اليوم في هذا الأمر أمر الرماية على ما يجود به الغرب من برامج وذخائر ومعادلات ومناظير وأجهزة وكتب.



قلت له: يا صاحبي، البارود الذي يحرك الطلقة هو اختراع إسلامي صرف (وليس صينياً كما هو شائع).. وحركة الطلقة تحكمها قواعد علم المقذوفات الذي هو ابتكار إسلامي صرف، وجميع المعدات البصرية تحكمها قواعد علم البصريات التي لولا المسلمون لما كان هناك علم يسمى علم البصريات، وعلم حساب المثلثات الذي يعد مدخلاً أساسياً في أجهزة وبرامج الحاسبات الباليستية هو ابتكار إسلامي صرف.. بل أزيدك وقد لا تصدق أن البندقية نفسها هي اختراع إسلامي نقله الغرب عن المسلمين وكذلك المدفع والصاروخ.. وهذا الكلام لا أقوله جزافاً.. ولا تعصباً للحضارة الإسلامية .. بل هو خلاصة بحث تاريخي موثق بالأدلة وباعترافات المؤرخين الغربيين أنفسهم، وربما أنقل ما يثبت ذلك من كتبهم في مقال آخر.

والبندقية ليست بإختراع معقد كما يتصور من لم يتعامل معها من قبل.. بل جهاز ميكانيكي بسيط، صنع المسلمون أعقد وأدق منه بمئات المرات فيما مضى كالاسطرلاب مثلاً.. ولدى قبائل باكستان ورش لتصنيع الأسلحة الفردية منذ عشرات السنين.. يصنعون بنادق شبيهة بالكلاشنكوف بمخارط عادية وبتقنياتهم البدائية والمحدودة للغاية، وهي ناجحة وتؤدي الغرض.. وأعرف من صنع -هذه الأيام- بندقية قنص من الخردة بوسائل قد يجدها البعض مضحكة من شدة بدائيتها، وحقق بها نتائج تفوقت على القناصة دراجانوف الروسية من حيث المدى والدقة، وهذا أمر رأيته بعيني!



وينتابني الغضب حين يختزل متحدث أسباب اجتياح الغرب لبلاد المسلمين في وجود الأسلحة النارية لديهم وغيابها لدى المسلمين، أيُعقل أنكم لم تفتحوا أي كتاب في التاريخ مثلاً، لقد اصطلح مؤرخو العالم على تسمية بلاد المسلمين يوم اجتاحها الغرب "إمبراطوريات البارود"، لكونها معقلاً للأسلحة النارية وخصوصاً المدافع.. وابحث عن مصطلح "إمبراطوريات البارود" هذا في (جوجل) واقرأ عجباً، واستخدام المسلمين للسلاح الناري موثق منذ معركة بازا (Baza) في الأندلس عام **١٣٢٥** م، قبل الزحف الغربي بعدة قرون.. والكلام ههنا كثير، وما قيل أقل بكثير مما لم يُقل.. ولكن أرى أن هذا المنشور قد طال.. فأكتفي بهذا القدر.



مذكرات الشيخ رفاعي طه (٢٤) الأخيرة



من مؤسسي الجماعة الإسلامية المصرية

سجلها عنه وحررها:
محمد إلهامي

كانت خطتنا ثورة شعبية يحميها أفراد من الجيش وقوة مدنية مسلحة

- هذه هي قصة قبول الشيخ عمر عبد الرحمن إمارة الجماعة الإسلامية
- لم يكتشف أي معسكر للتدريب إلا قبيل اغتيال السادات بأيام
- نصحت خالد الإسلامبولي أن يحلق لحيته ويبقى في الجيش

لمطالعة الحلقات السابقة اضغط هنا

أعود إلى لحظة تأسيس الجماعة الإسلامية..

وكنت ذكرت أنها قامت على رؤية تخالف رؤية الإخوان والسلفيين أيضاً، فقد كانت الرؤية: تكوين جماعة ثورية دينية عقدية سلفية للتغيير، ونستطيع التأريخ للاجتماع التأسيسي بهؤلاء الستة (صلاح هاشم وأسامة حافظ وحمدي عبدالرحمن وأبو بكر عثمان وناجح إبراهيم ورفاعي طه)، في أواخر السبعينات **(١٩٧٨ - ١٩٧٩م).**

وقد بسطنا رؤيتنا في جلسات عقدناها في الجمعية الشرعية، حددنا فيها "من نحن؟" و"لماذا الجماعة الإسلامية اليوم"؟ وكتبنا فيها هذه الأفكار في كشاكيل كانت تُدَرَّس للإخوة، وهذه وثائق مهمة لا أدري إن كان ثمة أحد من قادة الجماعة الإسلامية يحتفظ بها أم لا. كنا نعرض أنفسنا وأفكارنا على الشباب من واقع ما نخرج به في هذه الجلسات، لم يكن الميثاق قد كُتِب بعد، إنما كتب ميثاق الجماعة الإسلامية فيما بعد في السجن.

كانت وسيلتنا للتغيير تتلخص في: ثورة شعبية يدعمها إخواننا في الجيش أو بعض الإخوة المدربين على حمل السلاح.

وبهذا تلخص عملنا في ثلاثة أمور:

(١) دعوة نشطة تُسَفِّه النظام وتعمل على تثوير الشعب المصري.

(٢) تكوين مجموعات في الجيش تعمل على الانحياز للثورة أو على الأقل عرقلة وتعويق تحرك الجيش للقضاء عليها.

(٣) مجموعات مدنية مدربة على السلاح تتمكن من حماية الثورة عند قيامها.

ولم نضع تصوراً زمنياً لهذا، كنت من الذين يقولون إن التصور الزمني ينبغي أن يظل مفتوحاً، حتى نختبر أنفسنا وإمكانياتنا وقدراتنا.

على أنني، وبعيداً عن عمل الجماعة الإسلامية، وقبل أن تستقر لدينا هذه الرؤية في الجماعة الإسلامية، بل قبل أن تتحول الجماعة الإسلامية التي تكونت في الجامعة إلى تنظيم يعمل خارج الجامعة، قبل هذا كله كنتُ أعمل بشكل ذاتي ومنفرد على تجميع الضباط العسكريين، وبدأت بالفعل في البحث عمن يمكن أن يكونوا نواة عمل في الجيش، مثل الشيخ محمد شوقي مع خالد الإسلامبولي، وهكذا!

وكنـت أعـرف ضابطاً من مركز أرمنت اسمه محمد أحمد القيرفاني رحمه الله، وقد سُجِن في أحداث ١٩٨١ فيما بعد، وكان برتبة مقدم في كلية الفنية العسكرية ومديراً لمطار الأقصر.

" تعرفت على خالد الإسلامبولي حين كنا معاً من تلاميذ الشيخ السماوي، وكان من تلاميذ الشيخ السماوي أيضاً عبدالحميد عبدالسلام وهو المتهم الثاني في قضية اغتيال السادات. "



وأذكـر يومـاً قـال لـي فيـه خالد الإسلامبولي: إن الشيخ عبد الله السماوي يحثنا على ترك الجيش بسبب أن إعفاء اللحية ممنوع فيه.

فقلت له: لا تترك الجيش، بل احلق لحيتك.

قال: هل لديك دليل شرعي على هذا؟

قلت: نعم، إن حلق اللحية حرام لا شك، لكن النفع الكبير الذي قد يأتي منك لو بقيت في الجيش أعظم بكثير من إعفاء اللحية وترك الجيش.

وأقنعته بهذا، واقتنع!

ثم قررنا أن نجمع الضباط الذين انضموا إلينا، لنجعلهم في مسؤولية الشيخ عبود الزمر، وكان الشيخ كرم زهدي قد تعرف في ذلك الوقت على أخ من بولاق اسمه شعبان، وكان تعارفهما في العمرة أو الحج، وعرف منه أن ثمة تشكيلاً آخر في الصعيد يبحث نفس الفكرة.. كان هذا التشكيل هو مجموعة محمد عبدالسلام فرج!

"عقد الشيخ كرم العزم على التعرف على محمد عبدالسلام فرج حين يعود إلى مصر، وزاره مع أخينا شعبان هذا، وحصل بينهما توافق وانسجام، ونمتْ بينهما أخوة ومحبة في الله، ثم زارنا الشيخ محمد عبدالسلام وبدا أنه قريب للغاية منا، وسرعان ما توطدت العلاقة بيننا."

إلى ذلك الحين كان مجلس شورى الجماعة الإسلامية هو المجلس نفسه الذي ضمَّ قيادات العمل في الجامعة، وهم قد تخرجوا الآن، وصاروا مجلس شورى الجماعة الإسلامية التي تكوَّنت لها هذه الرؤية التي أسلفت الإشارة إليها. ثم عزمنا أن ننشيء مجلساً قيادياً خاصاً بالتنظيم العسكري الذي سيتحمل مؤونة التغيير الثوري، وكان هذا المجلس الخاص بالتنظيم هو الذي ضمَّ صفوة المؤسسين للجماعة الإسلامية بصفته التنظيم الأهم والأكثر خطورة، لكن تدريجياً صار هذا المجلس الخاص هو هو نفسه مجلس شورى الجماعة الإسلامية كلها.

تكون هذا المجلس من الشيخ طلعت فؤاد قاسم والشيخ صلاح هاشم والشيخ عصام دربالة والشيخ كرم زهدي، وكان لقاؤنا التأسيسي الأول في بيت الشيخ طلعت فؤاد قاسم في نجع حمادي، المركز التابع لمحافظة قنا، وكان المبادر إلى ذلك الشيخ طلعت فؤاد قاسم فتولى هو مسؤولية هذه الجلسة، وفيها بادر الشيخ كرم زهدي قائلاً: هذا الأمر عظيم وهذا العمل كبير، ويحتاج إلى قاعدة اقتصادية وقاعدة عسكرية، فأرجو أنكم تفوضوني لهذا الأمر. فوافقنا!

والتفويض هنا بمعنى أن يكون له أمر اختيار الشخص المناسب لكل عمل أو مسؤولية، بحيث يتحقق الهدف: بناء القاعدة الاقتصادية والعسكرية

للجماعة الإسلامية بتحقيق وجود قوي للجماعة داخل الجيش، وبناء مؤسسات اقتصادية توفر التمويل اللازم لكل العمل الدعوي والتنظيمي.



وسرعان ما انضم إلى المجلس الشيخ حمدي عبدالرحمن والشيخ ناجح إبراهيم والشيخ عاصم عبدالماجد والشيخ محمد عبدالسلام فرج والشيخ عبود الزمر، فهذا هو مجلس شورى الجماعة الإسلامية الذي تشكل باختيار من الشيخ كرم زهدي بناء على التفويض الـمُعطى له في اللقاء التأسيسي أو اللقاء التنظيمي الأول، وكان المجلس يتمثل في أحد عشر عضواً -أو ثلاثة عشر عضواً- بقيادة الشيخ كرم زهدي.

● **تأخر عن الانضمام الشيخ أسامة حافظ، كان متحفظاً على أمريْن؛** الأول: خوض الجماعة في المجال العسكري، فقد رأى أنه يسير بخطوات متسارعة للغاية ويجب أن يكون الأمر أبطأ وأكثر أناة وتريثاً. والثاني: العمل مع إخوة الوجه البحري الذين تعرفنا عليهم مثل الشيخ محمد عبدالسلام والشيخ عبود وغيرهم. إلا أنه في نهاية الأمر التحق بالركب وانخرط في العمل.

" **انقسم العمل إلى ثلاث لجان رئيسية:** لجنة العُدَّة، ولجنة الدعوة، واللجنة الاقتصادية. فالأولى يهمها الإعداد العسكري ورئيسها الشيخ كرم زهدي، والثانية للعمل الدعوي الشعبي التثويري ورئيسها الشيخ محمد عبدالسلام فرج، والثالثة: لتوفير احتياجات العمل كله ولا أذكر الآن من كان رئيسها. "

نشطت لجنة الدعوة في الوجه البحري لكونها تحت قيادة محمد عبدالسلام فرج، بينما كان نشاط بقية اللجان يغلب عليه الصعيد لطبيعة القائمين عليه.

نبتت في ذهن الشيخ كرم فكرة أن نضع على رأس الجماعة أميراً يكون من علماء المسلمين، فالجماعة إنما هي جماعة إسلامية شرعية دينية، ومن اللائق أن يكون على رأسها عالِم، وبحثنا عن عالم معتبر يمكن أن يقبل بهذه المهمة، فوقع الاختيار على الشيخ عمر عبدالرحمن، فقد كان أكثر العلماء جرأة وقوة في هذه المرحلة.

ذهب ثلاثة منا، وهم الشيخ كرم زهدي والشيخ طلعت فؤاد والشيخ محمد عبدالسلام، إلى الشيخ عمر عبدالرحمن، وعرضوا عليه أفكار الجماعة وأهدافها وقيامها على محور دعوي وعمل عسكري وعمل شعبي وهكذا، وكان السؤال الأول: هل جماعة بهذه الصفة يجوز لها أن يكون على رأسها عالم من العلماء؟ فقال: يجوز أن تستعينوا بعالم من علماء المسلمين ليقوم بأمر الجماعة.

وبعد حين ذهبوا إليه مرة أخرى عارضين عليه أن يكون هو نفسه هذا العالِم:

قالوا له: قد وقع اختيارنا على فضيلتك للقيام بهذا الأمر

فقال: لا أستطيع ذلك، وهذه مهمة كبيرة، ويحسن أن يقوم بها رجل صحيح وليس ضريراً مثلي!

فقالوا: هل كون الرجل ضريراً يمنعه شرعاً من أن يتولى إمارة جماعة للمسلمين؟ أم أن الأمر متعلق باستطاعتك أنت نفسك؟

فقال: لا، من الناحية الشرعية يجوز للضرير أن يكون أميراً، وقد أمَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالله بن أم مكتوم -وكان أعمى- على المدينة حين خرج لبعض الغزوات، لكن المانع هو الصعوبة الخاصة بي أنا.

فقالوا له: لا عليك من هذا، فنحن معك، ونحن بصرك الذي تبصر به، وسمعك الذي تسمع به، وكلنا لك أعوان وأتباع.

وانتهى الأمر على أن أقنعوه، وبايعوه أميراً على الجماعة الإسلامية.

صار الشيخ عمر أميراً على الجماعة الإسلامية ولم تعلن إمارته لها، إنما أعلنت بعد أحداث **١٩٨١م**، ولم يكن الشيخ في ذلك الوقت معروفاً لعموم أعضاء الجماعة الإسلامية بل كان معروفاً لمجلس الشورى.



ولقد كان الشيخ عمر رجلاً كبير النفس قوياً، وما كان أمراً سهلاً أن يتولى أحد قيادة جماعة على هذا النحو أبداً، وأظن أن المسؤولية عُرِضت على آخرين تلميحاً لكن أحداً منهم لم يُبْدِ تجاوباً كافياً للفكرة نفسها، إلا الشيخ عمر، فقد كانت قوته وحماسته وعلو همته وتجاوبه مع الفكرة مما شجعنا على إسناد الإمارة له، ولما قبلها بعد إلحاحنا عليه، قطع إعارته لكلية البنات الإسلامية في السعودية، وهذه فرصة عمل متميزة يسعى لها الناس، إلا أنه تركها وتخلى عنها وبقي ليتولى أمر الجماعة التي كانت ما تزال في مرحلتها الهلامية ولما يستتب أمرها بعد. ولقد شهدت الجماعة أفضل عصورها في هذه المرحلة.

ثم تسارع الأمر، وبدأنا نختار أماكن لتدريب الشباب في الجبال، كان منها أماكن في قنا وسوهاج، وبدأنا نجمع الإخوة الضباط الذين كانوا معنا مثل الشيخ عبود الزمر وأحمد القيرفاني وخالد الإسلامبولي، وكان هذا التسارع المفعم بالحماسة هو اللائق بشباب حديث التخرج في ذلك الوقت.

ولم يكن كل عضو في الجماعة الإسلامية يرسل به إلى التدريب، بل لا بد أن تتحقق في هذا العضو شروط خاصة، وقد بدأ هذا الأمر من سنة **١٩٧٩/١٩٨٠م** وبحلول أحداث **١٩٨١** كان لدينا في الجماعة من مائتين إلى ثلاثمائة عنصر مدرب من الجماعة الإسلامية، وطوال ذلك الحين لم يُكتشف أي شيء من معسكرات تدريب الجماعة الإسلامية، ولا أي عضو، ولا أي سلاح. بل إن أول حالة جرى اكتشافها في **١٨** سبتمبر **١٩٨١م**، أي قبيل أحداث المنصة بفترة وجيزة!

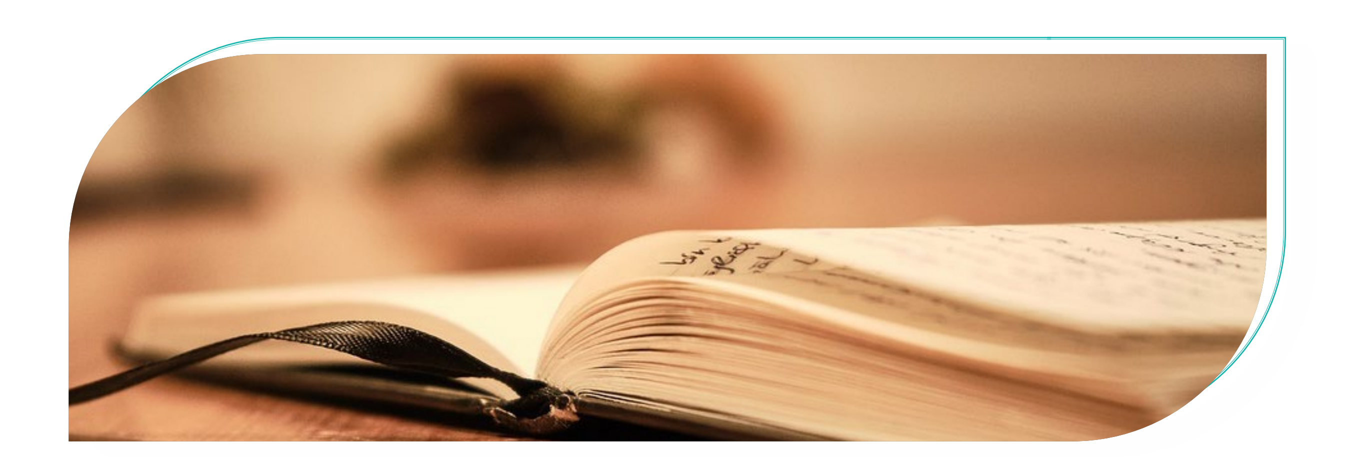
كانت الجماعة الإسلامية، بمثابة الأم، ويُنتقى منها الأعضاء الصالحون لهذا العمل النوعي العسكري الذي يعمل على تغيير النظام، بينما بقية جسم الجماعة علني مفتوح، يمارس النشاط الدعوي والاقتصادي والسياسي، ولها علاقاتها الممتدة بالأطراف الموجودة في ذلك الحين، ولا تستنكف من التعاون مع أحد، وقد آلينا على أنفسنا أن تكون علاقتنا حسنة بالجميع: الإخوان المسلمين والسلفيين والأزهريين والأحزاب القائمة التي كانت في ذلك الوقت منبراً أكثر منها أحزاباً حقيقية.

وركزنا العمل في ذلك الوقت على أئمة وزارة الأوقاف، إذ هؤلاء هم خطباء المساجد، وكان لنا في هذا الباب نشاط كبير، وقد كان معظمهم من الشباب القريب منا في السن، وكنا نؤثر فيهم، ونجحنا في مرحلة لاحقة أن يكون كثير من هؤلاء على خط الجماعة الإسلامية لا سيما في الصعيد، وبهذا الأسلوب تحولت كثير من المساجد التابعة لوزارة الأوقاف إلى مساجد تابعة لدعوة الجماعة الإسلامية.

ولعل المعاصرين الآن لا يتذكرون أن أئمة وزارة الأوقاف في ذلك الوقت كان السائد فيهم حلق اللحى وتدخين السجائر، وإنما هو يرتقي المنبر ويخطب الجمعة كجزء بارد من وظيفة ميتة يتقاضى عليها أجراً لا أكثر، ولا يخطر بباله أمر الدعوة إلى الله ولا هداية الناس. وقد طرأ التحول على عموم أئمة المساجد والخطباء حتى صار عيباً أن يوجد فيهم حليق اللحية أو مدخن السجائر أو الذي يكرر الخطبة الميتة ويحفظها في المناسبة، هذا التحول إنما كان للجماعة حظ كبير منه!

كانت لنا مجهودات أخرى مع الشيوعيين والصوفية والعصاة، ثم مجهودات أخرى في هذا العمل التغييري، لقد كانت هاتان السنتان (من أواخر **١٩٧٩** حتى أحداث **١٩٨١م**) حافلتين بالبركة والنشاط، إن الإنجاز الذي حصل فيهما بالمقارنة إلى حجمنا وقدراتنا كان شيئًا عظيمًا جداً جداً جداً!

- لعلنا في الحلقة القادمة نستعرض المجهود المبذول مع الشيوعيين والصوفية والعصاة إن شاء الله..



أقول أنا (محمد إلهامي):

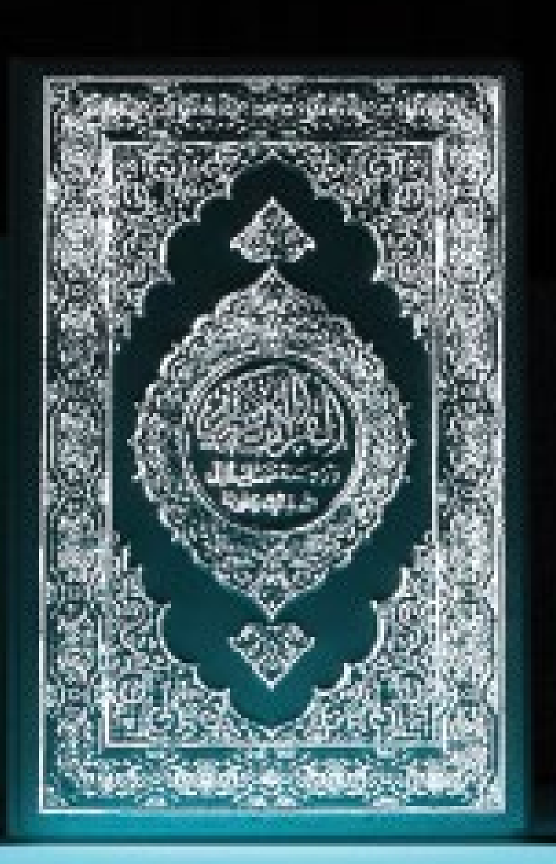
لكن الله تبارك وتعالى لم يشأ، سبحانه هو الحكيم الخبير، فقد كانت هذه آخر مرة لقيتُ فيها الشيخ لتسجيل مذكراته، بتاريخ الأول من نوفمبر **٢٠١٥م**، ثم شُغِلْتُ عنه وشُغِلَ عني، ولم يتيسر أن نستكمل بقية هذه المذكرات حتى فوجئت بخبر استشهاده في الشام (إبريل **٢٠١٦م**) رحمه الله.

لقراءة الحلقات السابقة:

تمهيد: موجز سيرة رفاعي طه
(١) طفولة بسيطة في قرية مغمورة
(٢) أول الطريق إلى المسجد، وإلى السياسة
(٣) أول تفكير في إقامة دولة إسلامية
(٤) فهمت الحديث النبي من ضابط أمن الدولة
(٥) أحرقَ كتاب سيد قطب في الصومال
(٦) قصتي مع التصوف
(٧) ثورة في المدرسة
(٨) كنت عضوا بالاتحاد الاشتراكي
(٩) كنا البديل لما لا يعجبنا
(١٠) أخفقت خطة إقامة الدولة الإسلامية
(١١) انكسار الأحلام في حرب أكتوبر
(١٢) انضمامي لليسار
(١٣) قصتي مع اليسار في الجامعة
(١٤) بيعتي للشيخ السماوي
(١٥) بداية زعامة صلاح هاشم
(١٦) محاولة الإخوان الهيمنة على جامعة أسيوط
(١٧) كيف صار ناجح إبراهيم أمير الجماعة الإسلامية؟
(١٨) الانشقاق بين الإخوان والجماعة الإسلامية في أسيوط
(١٩) أقمت معسكرا للتأليف بين جماعة الإخوان والجماعة الإسلامية وفشل !
(٢٠) لم يتسامح السادات مع التيار الإسلامي
(٢١) نظرة من الداخل على التيار الإسلامي بجامعة أسيوط
(٢٢) حاربنا التحرش في جامعة أسيوط بترتيب يمنع الاختلاط
(٢٣) حقيقة الصفقة بين السادات وبين التيار الإسلامي ضد اليسار

وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا

سورة الفرقان الآية (٥٢)



العدد ٣٢ ، مارس ٢٠٢٠ | كلمة حق



العقل والسيف

د. مجدى شلش

التفكير والنظر في مآلات الوقائع والأحوال فريضة شرعية، وضرورة حياتية، وكلاهما من سمات العقل وخصائصه التي لا تشاركه فيهما ملَكة أخرى من الملكات التي أودعها الله سبحانه وتعالى في طبيعة خلق الإنسان، إذ غرائزه متعددة، ومكنوناته متنوعة، لكن تبقى غريزة التعقل والفهم والتفقه سيدة الغرائز، وملكة الفطرة السوية والإدراك السليم.

قدرات العقل التي أودعها الله فيه غير محدودة، وطاقاته التي ميزه بها كبيرة واسعة، لا مستحيل أمام العقل البشري إلا الوقوف على كنه الخالق ومعرفة ماهية ذاته، وكذا الوصول إلى كيفيات الغيبيات التي أخبر الله بوجودها من أمور السمعيات التي لا يستطيع العقل أن يقف على مدى عظمتها.

المستحيل الذي لا ينتجه التفكير والإدراك هو المستحيل لذاته، وهو ما لا يستطيع العقل فهمه وإدراكه، وأقرب مثال له: الجمع بين النقيضين، فإنه من المستحيل الذي لا يتصوره العقل، كالجمع بين الحركة والسكون في وقت ومحل واحد، فالأشياء إما متحركة وإما ساكنة، والعقل لا يمكنه التفكير في الجمع بينهما.

ما عدا ذلك فللعقل مكانة ووظيفة في إدراك الأمور، وحسن النظر فيها، والإبداع بالجديد دائماً في مختلف المجالات الشرعية والسياسة والاقتصادية والإدارية، فالتوقف عن التعقل والفهم والإدراك معناه الموت المحقق للدول والأمم والجماعات التي جعلت من التفكير والنظر والتقييم خروج عن المألوف، ومناهضة سنة الآباء والأجداد.

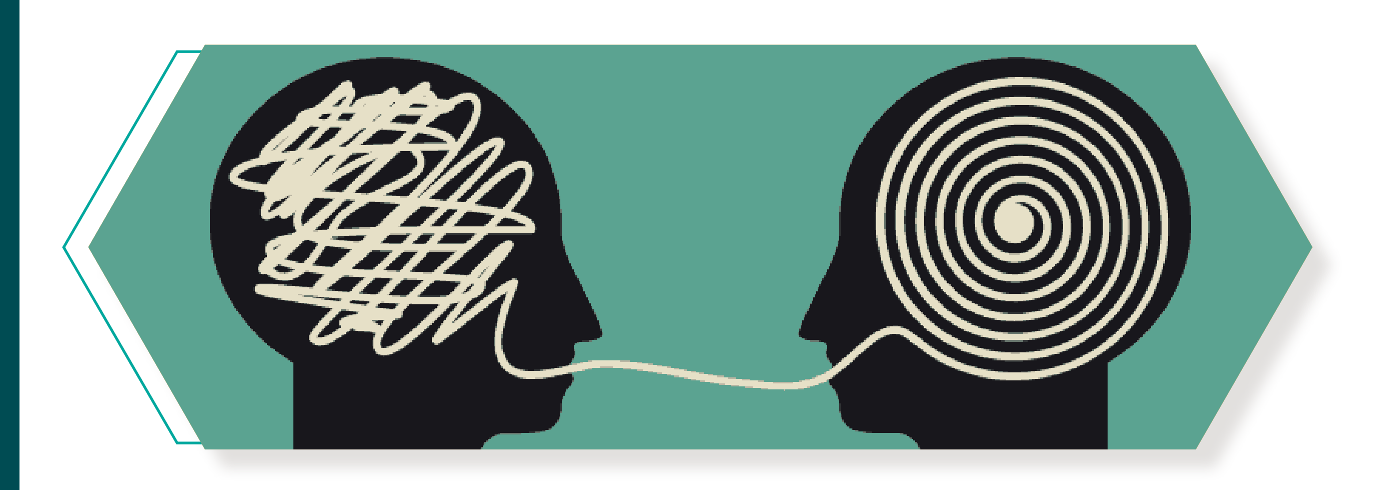
الدول والحكومات والتنظيمات التي ترفع شعار "لا تفكر فإن الدولة أو التنظيم يفكر لك" دول متخلفة، وتنظيمات بائدة، الاستمرار والبقاء قائم على مدى الاستفادة من طاقات وقدرات العقل التي لا يحدها سوى ما تقدم ذكره، والإنسان رغم نشاطه وإنتاجه إلا أنه بحسب الدراسات والأبحاث العلمية لم يستخدم إلا عشرة بالمائة من القوة التي أودعها الله في عقله.

من هنا تظهر طبيعة الجرم الذي يرتكبه الإنسان في حق نفسه، إذ الطاقة هائلة، والمنتفع منها قليل، والمستفاد نادر، هذا الجرم واقع على من استغل عشرة بالمائة، والتي نتج عنه كل هذه الحضارات المتسعة، والصناعات الجبارة، والأسلحة المتطورة، والإمكانات المادية الهائلة، فما بالنا بمن عطل الملكة تماماً، واكتفى بالحوم حول عادات الآباء، وفخر الأجداد، وانتظر أن يفكر له ألد أعدائه، فيأخذ منهم فتات ما يرمونه له من قمامة العلم، وزبالة التفكير، فالحدأة لا ترمي الكتاكيت.

الهزائم لا تأتي إلا على أيدي المقلدين، الذين هم عن الإبداع والتجديد والفكر بعيدون، وللنظر والتقييم كارهون، ومن مستجدات الواقع ومتطلباته نافرون، الهزيمة: عقل توقف، وفهم تعطل، وإدراك لمقاصد النوازل والحوادث تبطل،

وبصر بالحقائق عمي وأظلم، فأي جريمة أكبر من هذا السحق تحت أيدي وأرجل الأنجاس من أعداء الداخل والخارج؟ السبب الأول فيها هو الغباء في الفكر، والنزوع والركون إلى الموروث من بعض الأدبيات التي لا تناسب الزمن والحالة، فليس كل أبيض شحمة، ولا كل أسود فحمة، ولا كل أحمر لحمة.

«النصر والتمكين قائم على العقل المدرك السليم، والفكر المبدع القويم، ولمتطلبات الواقع وتحدياته الصعبة فاهم ورشيد، ناظر في سنن الله في حركة الليل والنهار، والشمس والقمر، وتغير الوقت والمكان والأشخاص والأحوال، كل يوم هو في فكر، قارئ لأمجاد الماضي التليد، ومدرك لفقه الصراع في الحاضر الأليم، ومتطلع لمستقبل مشرق قريب غير بعيد.»



المصيبة القائمة، والطامة الكبرى أن تعيش بلا عقل، وأن تقوم بلا فكر، وأن تتحول إلى أداة في أيدي صناع الهزائم، تردد كلامهم، وتحيا بأفكارهم، وتتسول لقمة العيش من فتات موائدهم، إنه الموت المعنوي، حيث الجسد أصبح خالياً من روح الإدراك والعقل والفكر، حركة ميتة، وعمل بلا فائدة، أرض بور، وجعجعة لا طحن فيها.

دعوة الأنبياء والمرسلين حرب على التقليد، وسعي للتجديد، وإحياء لعقول اندثرت، ومواهب مع الجاهلية ماتت، سيد الأنبياء والمرسلين صنع من عبيد الأصنام عباداً لله الواحد الديان، فأصبح جبار الجاهلية بكاء المدمع، ألمعي الفكر والفقه والملهم بين المسمع والمجمع، البدوي بالقرآن والفهم هزم القروي والمدني، أصبحت العقول والأذهان الصغيرة بآيات القرآن جليلة وكبيرة وعظيمة.

العقل الملكة الجبارة التي تغير الهزائم إلى نصر، والفوضى إلى علم وفكر، والضعف إلى قوة وتمكين، والخوف والفزع إلى راحة وأمن، والخلل والانحراف إلى طاعة واستقامة، لا بديل عن العقل إلا الجنون والعمى، ولا بديل عن الفقه والفهم إلا التنطع والهوى.

استقر في أذهان العقلاء أن لكل عصر رجاله، وأن لكل حادث حديثاً، ولكل نازلة مجتهداً بالفقه رشيد، التربية من سماتها أن تناسب عقول وعصر أبنائها، ليست هناك وسائل وإجراءات تناسب كل العصور والأزمان، جدت حوادث في عهد الصحابة لم تكن في زمن سيد الأنبياء، فشمروا لها ساعد العقل، وحاد الذهن، وعبقرية الفهم، فأصبحوا بحق خير أمة أخرجت للناس، في الشرق والغرب كانوا أئمة يقتدى بهديهم، ويتأسى بسالف فكرهم ونبوغهم.

ومع حدة ذكائهم إلا أن كل عصر بعدهم تجاوز بعض أقضيتهم، وحاد عن بعض وسائلهم، لأن كل عصر عقوله التي تفكر له، وتبدع من أجل سد حاجاته ومعايشه، كل ذلك نابع من ذات النص القرآني والنبوي بلا خروج عن ثابت، أو بعد عن ضروري إلى يوم القيامة قائم، إنها في الأصل رحمة الله بالعالمين بهذا الدين العظيم، الذي ناسب كل عصر، ولاءم كل مصر، وأصلح كل زمان ومكان، بمشروعية فرض الاجتهاد.

» الاجتهاد الشرعي أساسه قدرة العقل المنضبط بنصوص الشرع على الاستنباط والاستدلال لكل جديد، وتحدي كل أزمة بفكر واعٍ رشيد، ومقدم لكل نازلة حكم مناسب لمصلحة الشرع قويم وسديد، ما ساد الإسلام إلا بالعقل الرشيد، الذي فهم النص المجيد، فجدد ما اندثر، وأحيى من العزة والكرامة ما مات وارتفع، النصوص الشرعية قائمة لكن أين العقول التي تفهم، والأذهان التي تبدع في المتاح وتفكر.

الأمة الآن تعيش سطحية في الفكر، وتراجعاً في الإبداع والفقه، تولى أمرها سفهاء العقول، صغار الأحلام، جبناء العزيمة والرشد، حال بعض مفكريها ليس أقل سوءا من غباء وتفاهة غالب حكامها، بعض المنسوبين إلى العلم والفكر معاركهم شخصية، غلبهم الهوى، وأعماهم المنصب، وغرتهم زينة الحياة الدنيا،

فوقعوا أسرى الدينار والدرهم، رأيت الكثير منهم يدعي الثورية والشورى والمؤسسية، وينتقد بكل حدة غيره، وهو غارق إلى أذنيه في العفن الاستبدادي، والعطن المالي، والتصدر الإعلامي، إذا لم يُدعَ بصفة الزعيم القائد لا يلبي، وإذا لم يوضَع على المنصة أزبد وأرغى.



ما الحل؟

أولاً: كل هيئة أو تنظيم أو مؤتمر لا يطلق عنان عقول أبنائه ودعاته نحو الإبداع والتجديد لمستجدات الواقع منهدم وزائل، فلابد من وحدات مفكرة لكل جديد، ومنظمة لكل مستحدث، ومدركة لحال الماضي، وواعية للصراع الآني، ومستشرفة لآمال المستقبل، ما سبقنا الغرب بقيمة ولا بمبدأ، بل بحسن تفكير ومكر وخديعة، وشرعنا فيه من حسن التدبير وإدارة العقل ما لو أحسنّاه لتغير الحال من ضعف إلى قوة، ومن مهانة إلى عزة ومنعة.

الغرب هزمنا بباطله المزيف، فأبدع في قتلنا، وشرب من دمائنا، وتمتع بثرواتنا، كل ذلك أقامه بعقله، وأبدع فيه بفكره، حتى صرنا أيتاماً على موائد اللئام، الأمة الإسلامية الآن لا تملك مركزاً بحثياً غير مسيس، ولا اتحاد علماء إلا في إطار مؤدلج، ولا هيئة إلا للداعم المالي تسبح وتمجد، عِصّي مكسرة، لا تجد فيها راحلة، ولا لأهداف أمتنا قائمة.

» السبيل الوحيد للخروج من الهوة الكبرى، هو التجديد في الفكر، والنظر في المآل، والعمق في الطرح، كل ذلك تحت إطار ما سمح به النص القاطع، والبينة الظاهرة، بلا تسييس أو مساومة، الأمة في أمس الحاجة إلى جيل جديد يعرف للرب حقه، وللقرآن أدبه ووحيه وتشريعه، وللسنة مكانتها، وللعقل إدراكه وفنه وإبداعه.

ثانياً: بعد إبداع العقول يأتي إبداع النفوس، الجيل المبدع لا يكتفي بمنتج العقل الرشيد، وإنما تسمو نفسه وروحه نحو السماء بطلب التأييد، فلا قيمة للأسباب وهجر مسببها، النصر والفوز والفلاح من عند الله، وحكمته سبحانه أنه كلفنا بالفقه والفهم، وتعبدنا بالعلم والاجتهاد والتجديد.



السيف بلا عقل عنف، وبلا فكر تطرف، وبلا إدراك تهور، وبلا نظر للعواقب مفسدة، السيف لا يعمل بحق إلا في يد عاقل رشيد، وللحق فاهم وعالم، فكم ضاعت باسم الشجاعة طاقات غير عاقلة، ودفنت تحت تراب الغفلة والتهور أبدان قوية، الحق مقدم على السيف، والسيف خادم لسلطان الحق والعقل.



رد هيئة كبار العلماء

على كتاب الإسلام وأصول الحكم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على علم الهدى ومرشد الورى سيدنا محمد، الداعي إلى ما فيه سعادة الدنيا والفوز في الأخرى وسلم تسليما كثيراً.

وبعد فقد صدر في مصر كتاب عنوانه «الإسلام وأصول الحكم» للشيخ علي عبد الرازق، خرج فيه على الأصول التي سُمي بها عالماً شرعيًا، وكان بها أهلاً للفتيا والقضاء.

ولما تحقق ذلك لهيئة كبار علماء الأزهر الشريف اجتمعت بصفة تأديبية في دار الإدارة العامة للمعاهد الدينية يوم الأربعاء (٢٢ من المحرم سنة ١٣٣٤ هـ ١٢ أغسطس سنة ١٩٢٥ م) برئاسة صاحب الفضيلة:

الأستاذ الأكبر محمد أبي الفضل شيخ الجامع الأزهر، وحضور أربعة وعشرين عالماً من هيئة كبار العلماء، وهم حضرات أصحاب الفضيلة الأساتذة: الشيخ محمد حسين، الشيخ دسوقي العربي، الشيخ أحمد نصر، الشيخ محمد بخيت، الشيخ محمد شاكر، الشيخ محمد أحمد الطوخي، الشيخ ابراهيم الخليلي، الشيخ محمد النجدي، الشيخ عبد المعطي الشرشيمي، الشيخ يونس مرسي العطافي، الشيخ عبد الرحمن قراعة، الشيخ عبد الغني محمود، الشيخ محمد إبراهيم السملوطي، الشيخ يوسف نصر الدجوي، الشيخ إبراهيم بصيلة، الشيخ محمد الأحمدي الظواهري، الشيخ مصطفى الهدهياوي، الشيخ يوسف شلبي الشبرابخومي، الشيخ محمد سبيع الذهبي، الشيخ محمد حمودة، الشيخ سيد علي المصرفي.

» ونظرتْ في التهم الموجهة إلى الشيخ علي عبد الرازق أحد علماء الجامع الأزهر والقاضي الشرعي بمحكمة المنصورة الابتدائية الشرعية، التي تضمنها كتابه الإسلام وأصول الحكم ، ، وقد تضمنت أن الكتاب المذكور يحوي أمورًا مخالفة للدين النصوص القرآن الكريم والسنة النبوية وإجماع الأمة. منها:

١ جعل الشريعة الإسلامية شريعة روحية محضة لا علاقة لها بالحكم والتنفيذ في أمور الدنيا.

٢ وأن الدين لا يمنع من أن جهاد النبي صلى الله عليه وسلم كان في سبيل الملك لا في سبيل الدين ولا لإبلاغ الدعوة إلى العالمين.

٣ وأن نظام الحكم في عهد النبي كان موضوع غموض أو إيهام أو اضطراب أو نقص أو موجباً للحيرة.

٤ وأن مهمة النبي صلى الله عليه وسلم، كانت بلاغاً للشريعة مجردًا عن الحكم والتنفيذ.

٥ وإنكار إجماع الصحابة على وجوب نصب الإمام وعلى أنه لا بد للأمة ممن يقوم بأمرها في الدين والدنيا.

٦ وإنكار أن القضاء وظيفة شرعية.

٧ وأن حكومة أبي بكر والخلفاء الراشدين من بعده كانت لا دينية.

وقـرر حضـرة صـاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد أبي الفضل شيخ الجامع الأزهر بناء على ذلك اجتماع هيئة كبار العلماء بصفة تأديبية في يوم الأربعاء ١٥ من المحرم سنة ١٣٤٤ الموافق ٥ أغسطس سنة ١٩٢٥ م، الساعة العاشرة صباحًا، في دار الإدارة العامة للمعاهد الدينية، وأعلن ذلك للشيخ علي عبد الرازق في يوم الأربعاء ٨ من المحرم سنة ١٣٤٤ هـ الموافق ٢٩ يوليه سنة ١٩٢٥ م، وكُلف بالحضور أمام الهيئة المذكورة في التاريخ والمكان المذكورين.



بعد الاطلاع على كتاب الإسلام وأصول الحكم المطبوع في مصر الطبعة الأولى سنة ١٣٤٣ هـ الموافق سنة ١٩٢٥ م السابق الذكر، والعلم بما تضمنه من الأمور المخالفة للدين ولنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية وإجماع الأمة، وسماع ما جاء في مذكرة الشيخ علي عن التهم الموجهة إليه.

وبعد الاطلاع على المادة الأولى بعد المائة من قانون الجامع الأزهر والمعاهد الدينية العلمية الإسلامية رقم ١٠ السنة ١٩١١ م وعلى المادة الرابعة من هذا القانون . وبعد المداولة القانونية وبعد مناقشة هيئة كبار العلماء لما جاء في الكتاب المذكور رأت هيئة كبار العلماء ما يلي:

من حيث إنه يتبين مما تقدم أن التهم الموجهة إلى الشيخ علي عبد الرازق ثابتة عامة، وهي مما لا يناسب وصف العالمية وفقاً للمادة (١٠١) من القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١ ونصها: إذا وقع من أحد العلماء أياً كانت وظيفته أو مهنته ما لا يناسب وصف العالمية؛ يُحكم عليه من شيخ الجامع الأزهر بإجماع تسعة عشر عالِماً معه من هيئة كبار العلماء المنصوص عليها في الباب السابع من هذا القانون بإخراجه من زمرة العلماء، ولا يقبل الطعن في هذا الحكم، ويترتب على الحكم المذكور: محو اسم المحكوم عليه من سجلات الجامع الأزهر والمعاهد الأخرى، وطرده من وظيفته وقطع مرتباته في أي جهة كانت، وعدم أهليته للقيام بأية وظيفة عمومية دينية أو غير دينية).

فبناء على هذه الأسباب حكمنا نحن شيخ الأزهر بإجماع أربعة وعشرين عالمًا معنا من هيئة كبار العلماء بإخراج الشيخ علي عبد الرازق أحد علماء الجامع الأزهر والقاضي الشرعي بمحكمة المنصورة الابتدائية الشرعية ومؤلف كتاب «الإسلام وأصول الحكم» من زمرة العلماء.

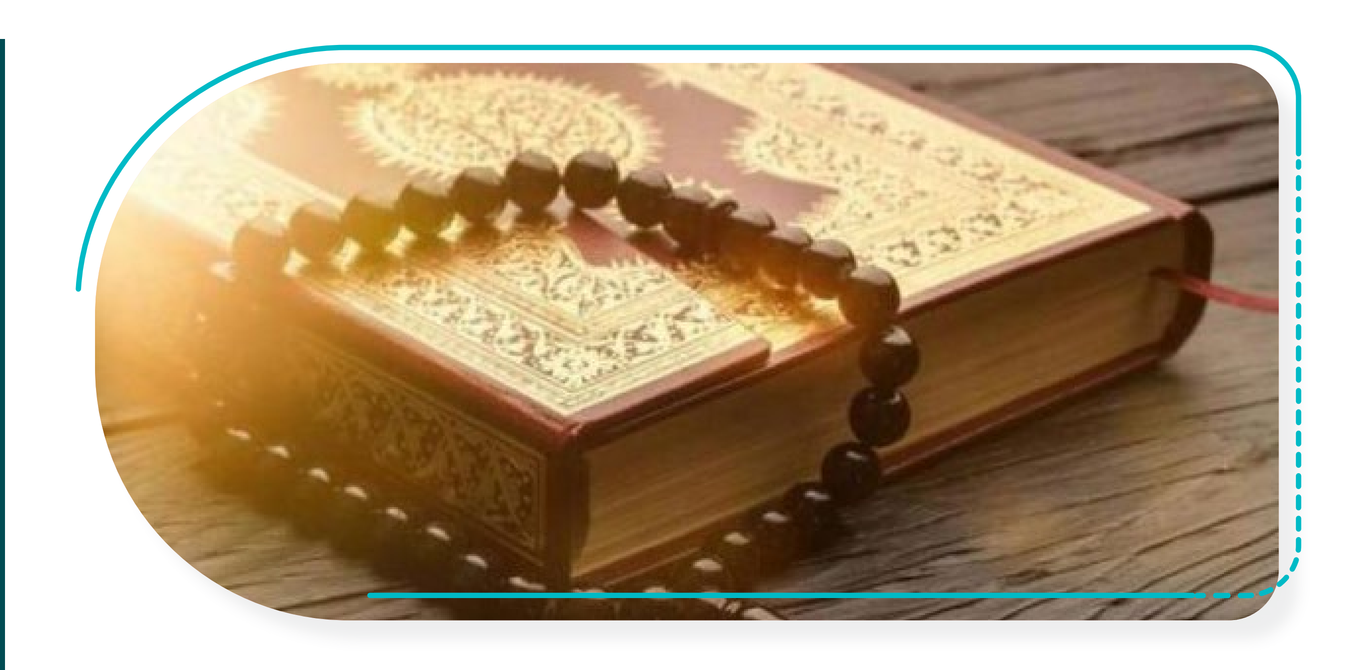
صدر هذا الحكم بدار الإدارة العامة للمعاهد الدينية في يوم الأربعاء ٢٢ من المحرم سنة ١٣٤٤ الموافق ١٣ أغسطس سنة ١٩٢٥ م).
شيخ الجامع الأزهر محمد أبو الفضل

***

وقد كان مما جاء في حيثيات رد هيئة علماء الأزهر الشريف على ما في الكتاب المذكور ما يلي:

- الدين الإسلامي بإجماع المسلمين ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من عقائد و عبادات ومعاملات الإصلاح أمور الدنيا والآخرة

- إن كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كلاهما مشتمل على أحكام كثيرة في أمور الدنيا وأحكام كثيرة في أمور الآخرة.



واضح من كلامه أن الشريعة الإسلامية عنده شريعة روحية محضة جاءت لتنظيم العلاقة بين الإنسان وربه فقط، أما بين الإنسان من المعاملات الدنيوية وتدبير الشئون العامة فلا شأن للشريعة به وليس من مقاصدها.

وهل في استطاعة الشيخ علي أن يشطر الدين الإسلامي شطرين ويلغي منه شطر الأحكام المتعلقة بأمور الدنيا، ويضرب بآيات الكتاب العزيز وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض الحائط؟!

وهل يجترئ الشيخ علي أن يسلخ الأحكام المتعلقة بأمور الدنيا من الدين ويترك الناس لأهوائهم ويقول إن ذلك من الأغراض الدنيوية التي أنكر النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون له فيها حكم وتدبير، ويدّعي على النبي هذه الدعوى؟!

وماذا يعمل الشيخ علي في مثل قوله تعالى: "إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا " [النساء: ١٠٥]. وقوله تعالى: " وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ". [المائدة: ٤٩]. وقوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ". [النساء: ٥٨]. ولو كان الأمر كما زعم هو لكان ذلك رفضاً لجميع آيات الأحكام الكثيرة في القرآن الكريم، ودون ذلك خرط القتاد.

» فما زعمه الشيخ علي من إنكار أن القضاء وظيفة شرعية وخطة دينية باطل ومصادم لآيات الكتاب العزيز. قال الله تعالى: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا). [النساء : ٦٥]. وقال تعالى: «فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ". [المائدة: ٤٨] وقال تعالى: (إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ". [النساء: ١٠٠].

» ومن حيث إنه علاوة على ما ذكر يقف الشيخ علي من المسلمين موقف الطاعن على دليلهم الديني، والخارج على إجماعهم المتواتر الذي انعقد على شكل حكومتهم الدينية.

» لقد وضع الدين الإسلامي أنظمة المواريث يلجأ إليها أحياناً غير المسلمين لما فيها من الرحمة والعدل، وأوجب على المسلمين مقادير الصدقات تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، وأمر بإقامة الحكومة الدينية العادلة التي تحفظ لكل ذي حق حقه، ولكل عامل ثمرة عمله، وجعل للدماء والأعراض والأموال حرمة لا يجوز انتهاكها، وضرب على أيدي المفسدين في الأرض.

» ومن حيث إن الشيخ عليّا يقول في كتابه: "لا شيء في الدين يمنع المسلمين أن يسابقوا الأمم الأخرى في علوم الاجتماع والسياسة كلها، وأن يهدموا ذلك النظام العتيق الذي ذلوا له واستكانوا إليه، وأن يبنوا ملكهم ونظام حكومتهم على أحدث ما أنتجت العقول البشرية، وأمتن ما دلت تجارب الأمم على أنه خير أصول الحكم". ومعلوم أن الحكم ومصادر التشريع عند المسلمين إنما هي كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإجماع المسلمين وليس هناك للمسلمين خير منها، والشيخ علي يطلب أن يهدموا ما بنوه على هذه الأصول من نظام حكومتهم العتيق، ويطلب إليهم أن يبنوا حكومتهم وشئونهم الدينية والدنيوية على أصول خير من أصولهم يجدونها عند الأمم غير الإسلامية، فكيف يبيح دين الإسلام للمسلمين أن يهدموه؟



هذا يوم من أيام الله تعالى

محمد بن موسى الشريف
(فك الله أسره)

هذا يوم من أيام الله تعالى، خُتم به ثمانية عشر يوماً كانت نتائجها أقرب إلى الخيال، سقط الطاغوت، وانقلع ابنه، وذهب المجرم الأثيم صفوت الشريف الذي أجرم منذ زمن العبد الخاسر إلى أن أذهبه الله غير مأسوف عليه، وسقط فتحي سرور المزور الأكبر...

{فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } [الأنعام: ٤٥]. {وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ } [القصص: ٦].

نُعيد نشر هذا المقال للدكتور الأسير محمد موسى الشريف، وهو منشور بتاريخ 15-2-2011م بموقع طريق الإسلام.
رابط المادة : http://iswy.co/e4bn6

{فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ} [يونس: ٩٢]. {وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا} [الإسراء: ٨١]. {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ } [آل عمران: ٢٦].

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله. الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر ولله الحمد. اللهم لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه. اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك. اللهم لك الحمد فقد نصرت عبادك، وهزمت الطواغيت، وأسقطت الحزب الوثني.

هذا يوم من أيام الله تعالى، خُتم به ثمانية عشر يوماً كانت نتائجها أقرب إلى الخيال، في ثمانية عشر يوماً سقط الطاغوت، وانقلع ابنه، وذهب المجرم الأثيم صفوت الشريف الذي أجرم منذ زمن العبد الخاسر إلى أن أذهبه الله غير مأسوف عليه، وسقط فتحي سرور المزور الأكبر، والغاش الأعظم، وطرد أحمد عز السارق الأكبر، والمجرم الذي نهب مصر، وتوالى سقوط أصنام الحزب الوثني.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر. الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر ولله الحمد.

وهذا هو الشعب المصري يُخْلف ظنون الأمّة فيه التي كانت تظن أنه آخر من يثور، وأنه وديع مسالم منذ زمن فرعون القديم إلى زمن فرعون العصر الحديث، فإذا به يصبح أول من يثور من الدول الإسلامية المهمة المتاخمة لإخوان القردة، ويفتح الطريق للشعوب إلى التحرر من الطغيان. أمّا أنت يا أيها الرئيس المخلوع، فاقرأ هذا الحديث النبوي الشريف الصحيح: : « إن الله إذا أبغض عبده نادى جبريل: إني أبغض فلانًا فأبغضه، فيبغضه جبريل، وينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلانًا فأبغضوه، فيبغضه أهل السماء ثم يوضع له البغضاء في الأرض ». رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة فها هي البغضاء تحوطك من كل جانب، وكل شخص يدعو عليك، ويتمنى محاكمتك، ويتقرب إلى الله ببغضك، فماذا استفدت من الثلاثين

سنة التي حكمت مصر أثناءها؟ خرجت يلعنك الله ويلعنك الناس ويلعنك التاريخ، خرجت وفي عنقك من الدماء والتبعات والمظالم ما لا يعلمه ولا يحصيه إلا الله، فهو كالبحر الذي لا يُدرى طرفاه، ولا يُعلم عمقه.



» ماذا استفدت يا مسكين وستأتي يوم القيامة ويتعلق بك أصحاب المظالم، واقرأ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « أتدرون ما المفلس ؟ " قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، فقال : " إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة ، وصيام ، وزكاة ، ويأتي قد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ، ثم طرح في النار ».رواه مسلم، وهذا لمن كانت حسناته عظيمة ومظالمه محصورة، فكيف بك ولا نعلم أن لك حسنات عظيمة ومظالمك كالبحر الزخّار الهائل، نعوذ بالله من الخذلان.

» ماذا استفدت يامسكين بعد أن حجرت على أهل غزة وحاصرتهم، ومنعت عنهم المعونات، وحرضت عليهم اليهود، فكم كفاً رفُعت في السحر تدعو عليك؟ وكم عيناً ذرفت دموعها من قهرك لها؟ وكم قلباً حرقت؟ وكم زوجاً أثكلت؟ وكم صبياً وصبية أيتمت؟ وكم مجاهداً قتلت؟

» ماذا استفدت يا مسكين وقد كنت عميلاً للصهيونية العالمية، والصليبية العالمية، ولكل أعداء الإسلام ، ووقفت في جانبهم وتنكرت لقومك وأمتك وأدرت لهم ظهرك، وصممت أذنيك عن كل مطالبهم؟

ماذا استفدت يا مسكين بعد أن ألجت في بلادك الربا والزنا والقمار، ونحيت الشريعة ورفضتها رفضاً تاماً وكنت لها عدواً لدوداً، وحكمت بلادك ثلاثين سنة بالقانون الوضعي؟ { الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ } [الحج : ٤١] ، { وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ }[المائدة :٤٥]، { وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } [المائدة:٤٧].

» ماذا استفدت يا مسكين بعد أن نهبت بلادك، وأفقرت شعبك، ومكنت لكل رويبضة تافه وأبعدت الصالحين، وسجنت المؤمنين، وعذبت الدعاة العاملين؟

ها أنت يا مسكين قد أصبحت في مزبلة التاريخ وذهبت عنك لذة الحكم وبقيت غصته العظيمة، وتذكر قول الفاروق: لو عثرت بغلة في العراق لسألني الله عنها: لم لم تعبد لها الطريق؟

الله أكبر الله أكبر، الله أكبر. الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر ولله الحمد.

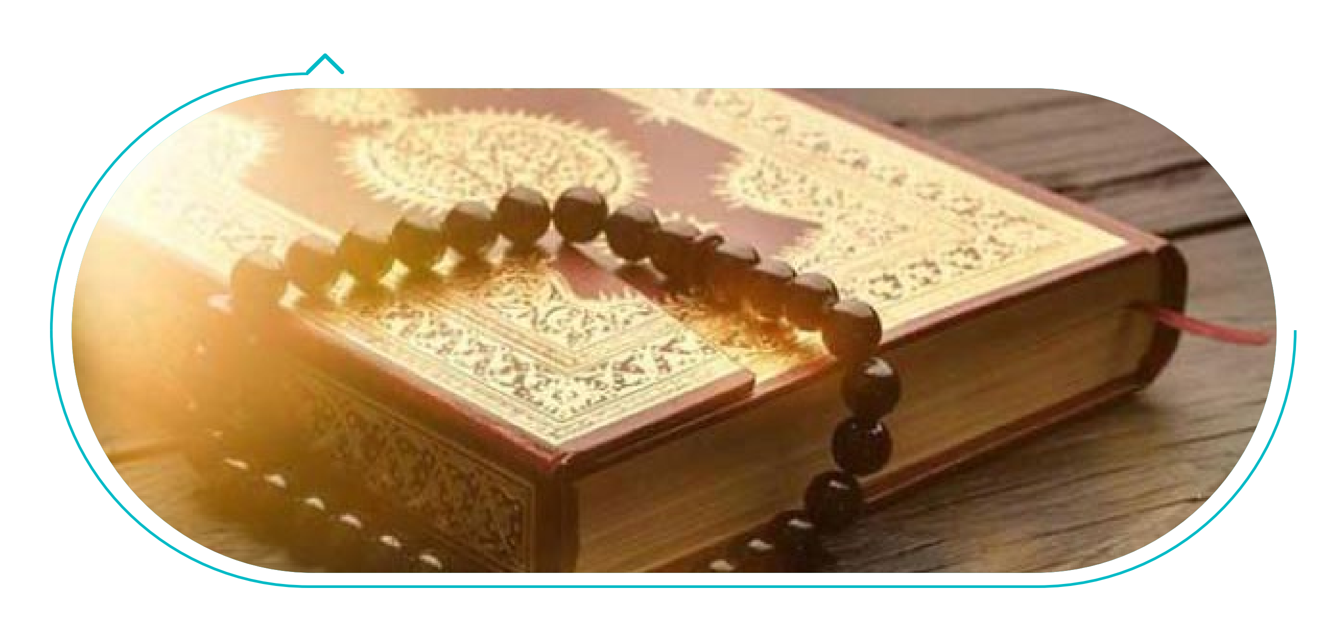
أما أنتم يا أعوان الطاغية ويا أزلام فرعون فاقرؤوا قوله تعالى : { وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ} [هود :١١٣]

وانتظروا المحاكمة العادلة في الدنيا قبل محاكمتكم أما الجبار العظيم الذي لا تغيب عنه غائبة في الأرض ولا في السماء. انتظر محاكمة عادلة في الدنيا قبل محاكمة القيامة العظمى، يوم تأتي وفي عنقك ملايين المظالم، وقد غششت رعيتك ، وفعلت الأفاعيل العظام، وداعاً يا مسكين لا لقاء بعده إن شاء الله.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر. الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر ولله الحمد.

أما أنتم أيها الشعب المصري الباسل فشكراً لكم وهنيئاً لكم، ونحن فخورون بكم وبجهادكم وصبركم وتضحياتكم لكن ينبغي تذكر الآتي أيها الإخوة والأخوات:

أولاً: إياكم وسارقي الثورات، فقد سُرقت ثورة الجزائر ١٩٦٢/١٣٨٢، وسرقت ثورة اليمن، سنة ١٩٦٢/١٣٨٢، وسرقت ثورة تونس ١٩٥٦/١٣٧٦، وسرقت ثورات أخرى، فإياكم يا أحبابي من سرقة ثورتكم، فلا تستبدلوا ظلماً بظلم، ولا طغياناً بطغيان، ولا تقبلوا هذا، فإن حصل انزلوا مرة أخرى إلى الشوارع وتظاهروا، ولا تقبلوا بالظلم مرة أخرى أبداً، وهذا هو الظن بكم إن شاء الله تعالى.



ثانياً: إن أهم المهمات الملقاة على عاتقكم منذ سقوط الطاغوت هو العمل الجاد المخلص على إقامة شريعة الإسلام، فبدون الشريعة لا قيام لكم من ضعفكم، ولا عذر لكم عند ربكم بعد زوال الطاغوت الممانع والصنم المدافع، وهذه فرصة جليلة أن يُحكم بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في أعظم بلد إسلامي وأكثره أهمية، وتذكروا قوله تعالى : {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ} [الأعراف :٩٦] وقوله تعالى : { الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ} [الحج:٤١].

ثالثاً: يا مشايخ مصر: قد زال الطاغوت فارجعوا إلى ما ينبغي أن يكون عليه المشايخ من العز والكرامة والأثر البالغ في المجتمع، ارجعوا إلى العظمة التي كانت لمشايخ الأزهر الكبار، ولا تنسوا أنكم من بلد العز بن عبد السلام سلطان العلماء، ومن بلاد عمر مكرم قاهر الانكليز.

رابعاً: أيها الدعاة في مصر: أنتم الأمل بعد الله تعالى، فأعيدوا الشعب المصري للتمسك بدينه من جديد ليكون الشعب الصامد في وجه أعداء الإسلام، ليكون الشعب الذي عرفناه قاهراً للتتار، ومطهراً الأرض من الصليبيين في عكا، وهو الذي هزم اليهود في رمضان سنة **١٣٩٣/١٩٧٣.**

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر. الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر ولله الحمد.

اللهم لك الحمد أن أحييتنا حتى نرى هذا اليوم العظيم، يوم زوال الطغيان واضمحلال البهتان، وانهدام الحزب الوثني، وانقلاع أركانه إلى الأبد إن شاء الله تعالى.

وأنصح حكام العرب من الذين طغوا وبغوا بأن يحكموا شرع الله تعالى ومصالحة شعوبهم قبل أن يصيبهم ما أصاب الطاغية، وتبرأ منهم شعوبهم، وتبقى مظالمهم في أعناقهم إلى يوم لقاء الله تعالى.

وأنصح الشعوب العربية الرازحة تحت حكم الطغاة بالصبر وتقوى الله تعالى حتى يهيئ الله تعالى لها فرجاً ومخرجاً، كما هيأ لشعب مصر من حيث لا يحتسبون.

ولا أجد أحسن ختاماً من قوله تعالى :

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [آل عمران :٢٠٠]. ومن قوله تعالى : {وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ }[الأعراف:١٣٧]. ومن قوله تعالى:{إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ } [الأعراف:١٢٨].

والله أكبر الله أكبر الله أكبر. الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر ولله الحمد.

أوراق أفغانية..التاريخ السري للحرب

عالقون بلا استراتيجية (ج1)

كان لدى بوش وأوباما خُطط على طرفي نقيض لكسب الحرب وقد فشلت كلها

تحقيق حصري لصحيفة واشنطن بوست[1]

ترجمه لمجلة كلمة حق: حامد عبد العظيم

في البداية ، كان الدافع لغزو أفغانستان واضحًا ومنطقياً، ألا وهو تدمير (القاعدة)، والإطاحة بنظام طالبان، ومنع تكرار هجمات ١١ سبتمبر الإرهابية.

في غضون ستة أشهر، أنجزت الولايات المتحدة إلى حد كبير ما كانت تنوي القيام به، قُتل قادة القاعدة وطالبان أو أُسروا وهربوا.

---

[1] كاتب الاستقصاء هو الصحفي بواشنطن بوست: كريج ويتلوك. والاستقصاء منشور بتاريخ **٢٠١٩-١٢-٠٩**. رابط الاستقصاء. وهو عبارة عن ستة أجزاء ومعهم ثلاثة مقالات إضافية، وقد ترجمنا الجزء الأول (والذي بعنوان: في حرب من الحقيقة) في العددين السابقين من مجلة كلمة حق، عدد **٣٠ و٣١**. [المترجم]



ولكن بعد ذلك ارتكبت الحكومة الأمريكية خطأً جوهرياً، ستكرره مرارًا وتكرارًا على مدى ١٧ عامًا، وفقًا للوثائق الحكومية المخبأة التي حصلت عليها واشنطن بوست.

في مئات المقابلات السرية التي تشكل تاريخًا سريًا للحرب، اعترف المسؤولون الأمريكيون والحلفاء بأنهم انحرفوا في اتجاهات لا علاقة لها بتنظيم القاعدة أو أحداث ١١ سبتمبر، وذلك من خلال توسيع المهمة الأصلية، وذكروا أنهم اعتمدوا استراتيجيات قتال معيبة تستند إلى افتراضات مضللة عن بلد لم يفهموه.

والنتيجة: صراع لا يمكن التغلب عليه، مع عدم وجود مخرج سهل.

يقول ريتشارد باوتشر، الذي شغل منصب كبير الدبلوماسيين بوزارة الخارجية لجنوب آسيا في الفترة من ٢٠٠٦ إلى ٢٠٠٩: "إذا كانت هناك نظرية عن (المهمة المختلة) فستكون حول مهمتنا بأفغانستان". "يجب أن نقول كفى. نحن هناك من ١٥ سنة نحاول تحقيق ما لا يمكن تحقيقه، بدلاً من تحقيق ما يمكن تحقيقه".

في المقابلات الصريحة غير المعتادة، قال المسؤولون الذين خدموا في عهد الرئيسين جورج بوش وباراك أوباما إن الاثنين قد فشلا في مهمتهما الأكثر أهمية كقائدين رئيسيين في وضع استراتيجية واضحة بأهداف موجزة يمكن تحقيقها.

اعترف الدبلوماسيون والقادة العسكريون أنهم كافحوا للإجابة على أسئلة بسيطة مثل: مَن العدو؟ من الذي يمكننا الاعتماد عليه كحلفاء؟ كيف نعرف متى فزنا؟

اختلفت استراتيجيات بوش وأوباما، لكنهما ارتكبا أخطاء فادحة جداً لم يتعافيا منها أبداً، وفقاً للمقابلات.

بعد سلسلة من الانتصارات العسكرية السريعة عام ٢٠٠١ وأوائل عام ٢٠٠٢، قرر بوش الإبقاء على قوة خفيفة من القوات الأمريكية في أفغانستان إلى أجل غير مسمى لملاحقة الإرهابيين المشتبه بهم. لكنه سرعان ما وضع خططًا لغزو دولة أخرى - العراق - وسرعان ما أصبحت أفغانستان أمراً ثانوياً.

وقال جيمس دوبينز، الدبلوماسي المحترف الذي شغل منصب المبعوث الخاص لأفغانستان في عهد بوش وأوباما، لمقابلات الحكومة إنه كان خطأً متغطرساً، وكان ينبغي أن يكون ذلك واضحًا منذ البداية.



عنـد تولى أوباما السلطة عام ٢٠٠٩، كانت القاعدة قد اختفت إلى حد كبير من أفغانستان، لكن طالبان قد عادت مرة أخرى.

مزق أوباما استراتيجية بوش لمكافحة الإرهاب، ووافق على خطة معاكسة، تتمثل في حملة ضخمة لمكافحة التمرد، تتكون من ١٥٠ ألف جندي أمريكي وقوات لحلف شمال الأطلسي (الناتو)، إضافة إلى أطنان من المساعدات لحكومة أفغانية ضعيفة.

على عكس بوش، وضع أوباما مواعيد نهائية صارمة، ووعد بإعادة جميع القوات الأمريكية إلى الوطن بحلول نهاية فترة رئاسته.

كن استراتيجية أوباما كانت مصيرها الفشل. المسؤولون الأمريكيون ومسؤولو الناتو والأفغان الذين أجروا مقابلات مع الحكومة قالوا إنها حاولت إنجاز الكثير بسرعة كبيرة، وإنها اعتمدت على حكومة أفغانية فاسدة وغير فعالة.

الأسوأ، كما قالوا، أن أوباما حدد تواريخ زائفة لإنهاء الحرب قبل أن تنتهي، وكل ما كان على طالبان فعله هو انتظاره.

يقول بوب كراولي (عقيد في الجيش متقاعد خدم كمستشار لمكافحة التمرد في ٢٠١٣ و ٢٠١٤): "كان هناك عدد من الافتراضات الخاطئة في الاستراتيجية، مثل: أفغانستان مستعدة للديمقراطية بين عشية وضحاها، وأن السكان سيدعمون الحكومة خلال مدة قصيرة، وغير ذلك من الافتراضات المتفائلة".

على مدى السنوات الـ **١٨** الماضية، انتشر أكثر من **٧٧٥،٠٠٠** جندي أمريكي في أفغانستان، العديد منهم انتشروا مرارًا وتكرارًا. ومن بين هؤلاء مات **٢٣٠٠** شخص، و**٢٠.٥٨٩** عادوا إلى منازلهم مصابين، وفقاً لأرقام وزارة الدفاع. اليوم، لا يزال نحو **١٣٠٠٠** جندي أمريكي في أفغانستان. ويعترف الجيش الأمريكي بأن طالبان أقوى الآن من أي وقت مضى منذ عام **٢٠٠١**. ومع ذلك، لا توجد محاسبة شاملة وعامة للإخفاقات الاستراتيجية التي تقف وراء أطول حرب في التاريخ الأمريكي.

"لم تكن هناك لجنة تحقيق فيما جرى في أفغانستان على غرار لجنة ١١ سبتمبر، والتي أرغمت الحكومة على تحمل المسؤولية في أعقاب أسوأ هجوم إرهابي على الأراضي الأمريكية؛ لا توجد نسخة لأفغانستان من جلسات (فولبرايت)، عندما تساءل أعضاء مجلس الشيوخ بقوة عن الحرب في فيتنام؛ لا توجد لأفغانستان نسخة رسمية من الجيش مؤلفة من ١٣٠٠ صفحة تدرس تاريخ الحرب في العراق بعمق."

في عام ٢٠١٤، قررت وكالة اتحادية صغيرة أنشأها الكونجرس محاولة ملء الفراغ. أطلق مكتب المفتش العام لإعادة إعمار أفغانستان، المعروف باسم SIGAR، مشروعًا بقيمة ١١ مليون دولار - بعنوان "الدروس المستفادة" لدراسة الأخطاء الأساسية للحرب. بعد إجراء مقابلة مع أكثر من ٦٠٠ شخص، نشر باحثو الوكالة سبعة تقارير أوصت بإجراء تغييرات في السياسة/ الخطة.



لتجنب الجدال ، قامت SIGAR باستبعاد أقسى الانتقادات من مقابلات الدروس المستفادة وحذفت أسماء أكثر من ٩٠ بالمائة من الأشخاص الذين تحدثت معهم. كما ألغت خططًا لنشر تقرير منفصل عن أوجه القصور في استراتيجية الحرب الأفغانية.

بعد معركة قانونية استمرت ثلاث سنوات، حصلت (واشنطن بوست) على ملاحظات ونصوص، بالإضافة إلى العديد من التسجيلات الصوتية لأكثر من ٤٠٠ من المقابلات. تكشف الوثائق بلغة صارخة أن الأشخاص الذين شاركوا مباشرة في الحرب لم يتمكنوا من التخلص من شكوكهم بشأن الاستراتيجية والمهمة بأكملها، حتى عندما أخبر بوش وأوباما وبعد ذلك الرئيس ترامب الشعب الأمريكي أنه من الضروري مواصلة القتال.

"ماذا كنا نفعل فعلاً في هذا البلد؟" يتساءل مسؤول أميركي لم تُحدد هويته في مقابلة مع الحكومة، كان مسؤولاً عن الاتصال بحلف الناتو، والذي أضاف: "ما هي أهدافنا؟ بناء الأمة؟ حقوق المرأة؟ لم يكن واضحًا تمامًا في أذهاننا ما هي الأهداف والجداول الزمنية المحددة".

وقال جيفري إيجرز، وهو مسؤول متقاعد من قوات البحرية ومسؤول بالبيت الأبيض في عهد بوش وأوباما، إن قلة من الناس توقفوا للتشكيك في جدوى إبقاء القوات الأمريكية في أفغانستان.

"**لماذا جعلنا طالبان العدو عندما هاجمنا تنظيم القاعدة؟** لماذا نريد هزيمة طالبان؟" قال إيجرز ذلك في مقابلات الدروس المستفادة، وأضاف: "النظام عاجز عن أخذ خطوة للوراء للتساؤل عن الافتراضات الأساسية".

وقال باوتشر، الدبلوماسي المحترف الذي شغل أيضًا منصب كبير المتحدثين باسم وزارة الخارجية في عهد بوش، إن المسؤولين الأمريكيين لا يعرفون شيئاً عما يفعلون: "أولاً، ذهبنا للقضاء على القاعدة، ولإخراجها من أفغانستان، وقد حققنا ذلك حتى دون قتل بن لادن". "كانت طالبان تطلق علينا النار فبدأنا في إطلاق النار عليهم وأصبحوا العدو. في النهاية واصلنا توسيع المهمة باطراد".

ما يقولون في العلن

٢٨ مارس ٢٠٠٢

"الشيء الوحيد الذي يمكنك فعله هو قصفهم ومحاولة قتلهم، وهذا ما فعلناه، وقد نجح، لقد اختفوا".

وزير الدفاع دونالد رامسفيلد يتحدث عن طالبان والقاعدة، مقابلة مع MSNBC

تلا تصريح رامسفيلد السابق لأوانه عدة تصريحات، افترض فيها كبار القادة الأمريكيين وهماً أنهم يستطيعون إنهاء الحرب بشروطهم. لقد تعرضت طالبان لضربة موجعة ولكن لم تختفِ.

رفضت إدارة بوش، وسط شعورها بالثقة المفرطة بسبب السهولة الظاهرة لغزو أفغانستان، الجلوس مع قادة طالبان المهزومين للتفاوض على سلام دائم، وهو قرار ندم عليه المسؤولون الأمريكيون لاحقًا.

استُبعدت طالبان من المؤتمرات الدولية والتجمعات الأفغانية من ٢٠٠١ إلى ٢٠٠٣ التي شكلت حكومة جديدة، على الرغم من أن بعض شخصيات طالبان أبدت استعدادًا للانضمام إليها. وبدلاً من ذلك، نشرت الولايات المتحدة مكافآت مقابل أَسرهم وأرسلت المئات منهم إلى معتقل جوانتانامو في كوبا. بارنيت روبين، الخبير الأكاديمي الأمريكي في أفغانستان والذي عمل مستشارًا للأمم المتحدة في ذلك الوقت، قال في مقابلات الدروس المستفادة: "كان خطأً كبيراً عندما عاملنا طالبان مثل تنظيم القاعدة.. كان قادة طالبان الرئيسيون مستعدين لإعطاء النظام الجديد فرصة، لكننا لم نعطهم فرصة".



طالبان لم تكن متورطة في هجمات ١١ سبتمبر، لم يكن أي من الخاطفين أو المخططين أفغانيين. لكن إدارة بوش صنفت قادة طالبان على أنهم إرهابيون لأنهم أعطوا ملاذاً لتنظيم القاعدة ورفضوا تسليم أسامة بن لادن.

"كان من السهل شيطنة طالبان بسبب وحشيتها وتعصبها الديني، لكن الحركة أثبتت أنها كبيرة للغاية ومتأصلة في المجتمع الأفغاني."

وقال روبن في مقابلة ثانية مع "الدروس المستفادة": "الكل أراد أن تختفي طالبان.. لم تكن هناك شهية كبيرة لما أطلقنا عليه الحد من التهديد للدبلوماسية الإقليمية ودمج طالبان في عملية السلام".

اتفق مسؤول من الأمم المتحدة لم يكشف عن اسمه مع ما قال روبن، وصرّح للمقابلات بأنها كانت أكبر فرصة ضائعة في الحرب. وقال المسؤول في الأمم المتحدة: "في تلك اللحظة، كان معظم قادة الحزب الإسلامي أو قادة طالبان مهتمين بالانضمام إلى الحكومة". في إشارة إلى ميليشيا أفغانية أخرى قاتلت القوات الأمريكية. وقال المسؤول للدروس المستفادة: "إذا أتيحت لك الفرصة للتحدث مع طالبان، فتحدث معهم".

أدرك المسؤولون الأمريكيون متأخراً أنه كان من المستحيل هزيمة طالبان. اليوم يقول مسؤولو البنتاجون إن السبيل الوحيد لإنهاء الحرب هو التوصل إلى تسوية سياسية تتصالح فيها طالبان مع الحكومة الأفغانية.

في العام الماضي، فتحت الحكومة الأمريكية محادثات سلام مباشرة رفيعة المستوى مع طالبان لأول مرة.

خمسة من مفاوضي طالبان هم أسرى حرب سابقون على يد الولايات المتحدة، قضى كل منهم عشر سنوات في الأسر في جوانتانامو. أما المبعوث الأمريكي الرئيسي فهو زلماي خليل زاد، الدبلوماسي الأفغاني الأمريكي الذي عمل سفيراً للولايات المتحدة في أفغانستان من عام 2003 إلى عام 2005 ثم سفيراً لدى العراق والأمم المتحدة.

في مقابلة من مقابلات الدروس المستفادة في ديسمبر/ كانون الأول ٢٠١٦، اعترف خليل زاد بأنه من خلال رفض التحدث مع طالبان، ربما تكون إدارة بوش قد أفسدت فرصة لإنهاء الحرب بعد وقت قصير من بدئها. وقال: "ربما لم نكن نتحلى بالمرونة أو الحكمة الكافية للتواصل مع طالبان في وقت مبكر، لأننا اعتقدنا أنهم هُزموا وأن الناقص فقط تقديمهم إلى العدالة، بدلاً من استيعابهم أو إجراء بعض المصالحة".

" بعد عام من مقابلة خليل زاد مع الدروس المستفادة ، سحبه ترامب إلى الخدمة العامة من خلال استغلاله كمبعوث أمريكي للتفاوض مع طالبان. "

قام المسؤولون الفيدراليون بتنقيح أجزاء واسعة من مقابلة خليل زاد قبل نشر نسخة لصحيفة The Post في يونيو، قائلين إنها تحتوي على معلومات سرية. في دعوى قضائية ، قالت وزارة العدل إن الكشف عن المواد السرية "قد يؤثر سلبًا على المفاوضات الدبلوماسية الجارية".

طلبت الصحيفة من قاض فيدرالي مراجعة ما إذا كانت تصريحات خليل زاد مصنفة بشكل صحيح، والقرار إلى الآن معلق.

في مقابلات الدروس المستفادة، قال مسؤولون آخرون إن إدارة بوش ضاعفت من خطأها المبكر مع طالبان من خلال ارتكاب خطأ حرج آخر، وهو معاملة باكستان كصديق.

أعطى الحاكم العسكري الباكستاني الجنرال برويز مشرف، البنتاجون الإذن لاستخدام المجال الجوي الباكستاني، والسماح لوكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية بتتبع قادة القاعدة في الأراضي الباكستانية. ونتيجة لذلك، كان البيت الأبيض في عهد بوش بطيئًا في إدراك أن باكستان كانت تقدم بذلك دعمًا سريًا لطالبان، وفقًا للمقابلات.

يقول مارين سترميكي كبير مستشاري رامسفيلد لمقابلة الحكومة: "بسبب ثقة الناس في مشرف وبسبب مساعدته للشرطة للقضاء على أفراد القاعدة في باكستان، كان هناك فشل في إدراك اللعبة المزدوجة التي بدأها بحلول أواخر عام ٢٠٠٢ ، وفي أوائل عام **٢٠٠٣**".

وأضاف سترميكي: "أعتقد أن الأفغان، و[الرئيس حامد] كرزاي نفسه، يثيرون هذا الأمر باستمرار حتى في بدايات عام ٢٠٠٢.. إنهم يقابلون آذانًا غير متعاطفة بسبب الاعتقاد بأن باكستان كانت تساعدنا كثيرًا ضد تنظيم القاعدة.. لا توجد مساءلة جادة لباكستان حول دورها الداعم لحركة طالبان".

ترحب مجلة كلمة حق باستقبال مقالات القراء ، إذ تعمل هيئة التحرير على فرزها ونشر المتميز منها في كـل عدد جديد ، يُرجى إرسال المقالات على البريد التالـي Klmtuhaq@gmail.com

شروط المقال

(١) ألا يكون عاطفيا يخاطب الشعور بل عقلانيا وما أجمل لو يكون خلاصة علمية.

(٢) أن يكون في باب الثورة والمقاومة والكفاح، فذلك واجب الوقت.

(٣) أن يكون عمليًا مفيدا وأحسن ما يكون لو قدم إجابة على سؤال كيف نفعل كذا، أو في الموقف الفلاني ماذا ينبغي أن نفعل، وهو مجال واسع، يكتب فيه السياسي والاقتصادي والقانوني والإعلامي والشرعي الثورات الأمة بحاجة لخبرات في كل هذه المجالات

(٤) أن يكون مكتوبًا باسم صاحبه، لا باسم مجهول ولا بكنية، فلئن كان ثمة ما قد يعرقل نشر الاسم الظروف خاصة ، فيمكن للمجلة أن تحتفظ بالاسم دون نشره لرغبة صاحبه.







السنة الثالثة العدد ٣٢ مارس ٢٠٢٠

المشرف العام
محمد إلهامي

مديــــر التحـــرير
حامد عبدالعظيم